دور المؤسسات الدولية في السيطرة على اقتصادات الدول النامية

قاهر اليهود

العدد ٦٢٠ السنة الثالثة والخمسون جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ

التوحيد

الثمن ١٠ جنيهات

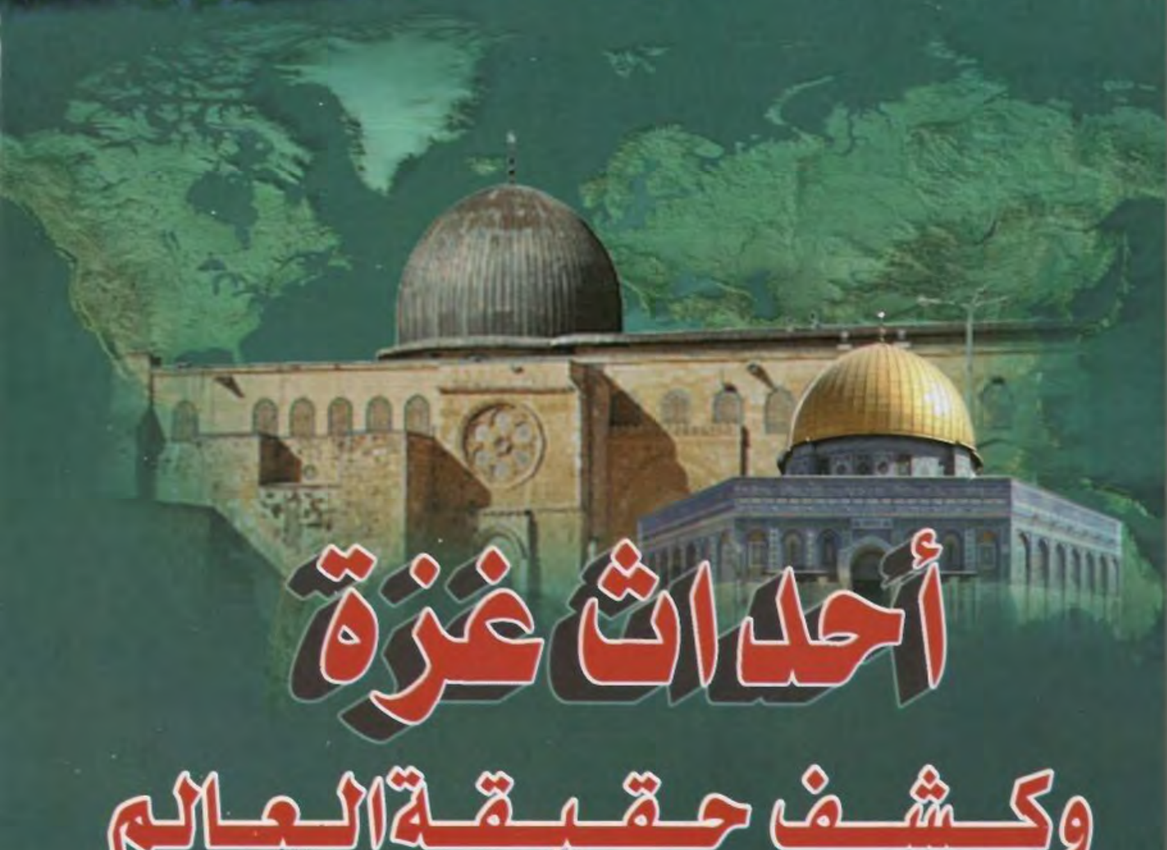

أحداث غزة
وكشف حقيقة العالم

- قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ
- التغريبة العربية... وعقود من الشتات
- حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٢٠ السنة الثالثة والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٥ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبدالمجيد

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الاسلامي مع ارسال قسيمة الايداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٨٠ دولارا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعاد لهما

السلام عليكم

إغاثة الملهوف

من أجمل النعوت والسجايا التي يتزين بها المسلم وينال بها الرضوان: إغاثة الملهوف، فهي من أعلى صنائع المعروف درجة، ويشملها قول الله تعالى: «وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الحج: ٧٧)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومَن فرَج عن مسلم كربة، فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومَن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة». (رواه البخاري)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن نفَس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَر عن معسر، يسَر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». (رواه مسلم).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة في هذا الباب، حتى قالت له خديجة رضي الله عنها عندما قال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». قالت: وَاللَّه مَا يُخْزِيكَ اللَّه أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (رواه البخاري).

ومن أعظم الأبواب الآن في إغاثة الملهوف، بل هو حق واجب على المسلمين: إغاثة إخواننا في فلسطين، ومد يد العون لهم، وعدم خذلانهم، والدعاء لهم.

فاللهم انصر أهل فلسطين، وأخرجهم من حولهم وقوتهم إلى حولك وقوتك، وارزقهم بمدد من عندك يا الله.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

قل هو من عند أنفسكم
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
دور المؤسسات الدولية في اقتصادات الدول النامية
د. أيمن خليل ٨
كيف أنصح لكتاب الله؟ د. محمد حامد ١٣
طعم الإيمان وحلاوته د. جمال المراكبي ١٧
موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم
د. سيد عبد العال ٢١
ماذا تعرف عن اليهود؟
الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
التغريبة العربية وعقود من الشتات
أ. محمد محمود فتحي ٢٨
أحداث غزة وكشف حقيقة العالم
د. عبد الوارث عثمان ٣٣
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
اليهود نشأة وتاريخًا
الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله ٣٨
قاهر اليهود د. أحمد سليمان ٤٢
التوبة من التنافر والتشاحن
الشيخ عبد أحمد الأقرع ٤٦
الابتلاء الشيخ إبراهيم حافظ ٤٨
جبر الخواطر الشيخ حسين صادق ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
ضوابط في حب الأولاد الشيخ عادل شوشة ٦١
خُلق الصبر م. محمد ياسين بدر ٦٤
تبصرة الأنام بحقوق الطريق في الإسلام
د. عبد القادر فاروق ٦٦
من بلاغة القرآن الكريم د. عبد الرحمن فودة ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ

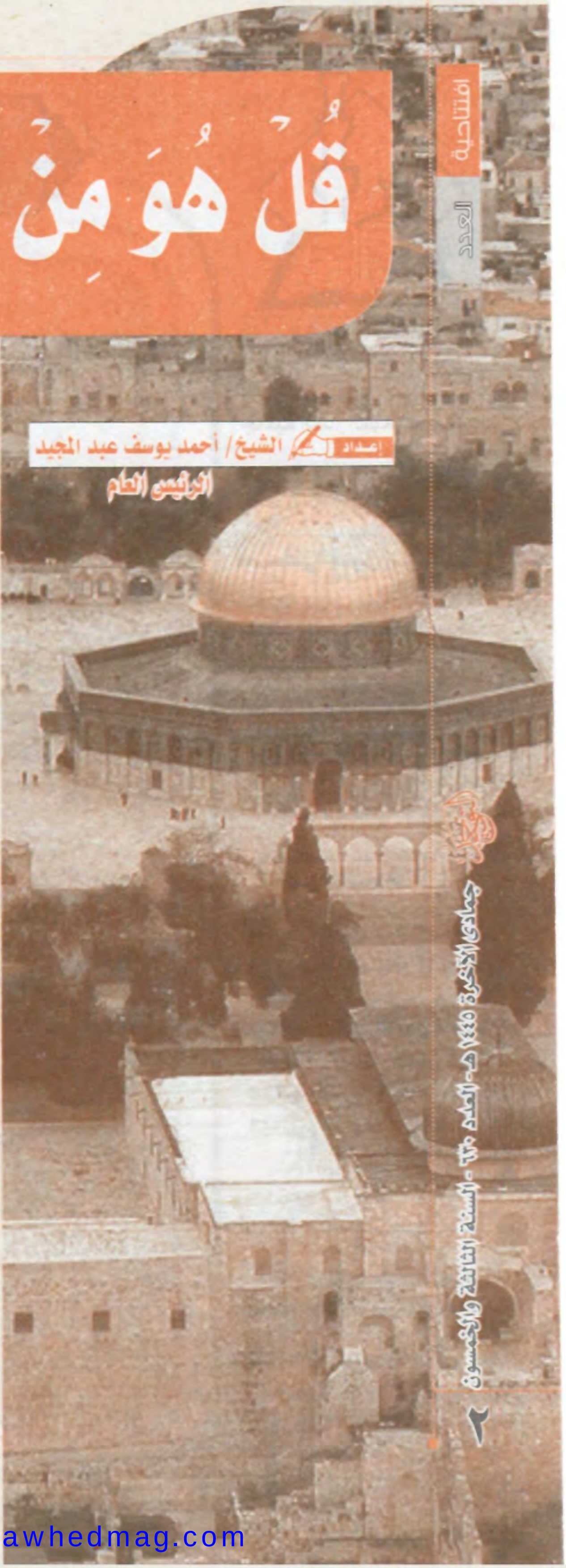

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد

الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن العالم كله يرى ويسمع ما حل بإخواننا في فلسطين من قتل وتشريد وعزل عن العالم ومنع للطعام والشراب والدواء، وذلك بالرغم من قلة عدد الأعداء مع كفرهم برب السماوات والأرض، ومع كثرة المسلمين وعدتهم.

هذا فضلاً عما يجري للمسلمين في أماكن أخرى من اضطهاد وظلم وحرق لمصاحفهم وإساءات لنبيهم صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن نهب ثرواتهم، وأصبح العالم لا يسمع إلا بهوان المسلمين وقتلهم.

ولا غرابة في ذلك فإن رسول الله الذي قال الله له: «وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ» (النساء: ١١٣)؛ أخبر بذلك في حديث ثوبان حيث قال: «يُوشِكُ الأممُ أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلةُ إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: بلْ أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكنَّكم غثاءٌ كغثاءِ السَّيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهْنَ. فقال قائل: يا رسولَ الله! وما الوهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموت». (أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٢٩٧).

وكأن ما يجري اليوم من تداعي معظم دول العالم، إن لم يكن جميعهم، هو ما أخبر به صلى الله عليه وسلم. وإن كان السائل في الحديث ظن أن سبب ذلك قلة العدد، فإن الصحابة الذين أصابتهم الهزيمة في أحُد فقُتل منهم سبعون، وشُجّت رأس نبيهم وكسرت رباعيته، وبُقرت بطن عمه حمزة، تعجبوا لتلك الهزيمة وتساءلوا أنى هذا؟ كما قال الطبري عند تفسير قوله تعالى: «أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا» (آل عمران: ١٦٥)؛ من أين أصابنا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله يأتيه الوحي من السماء، وعدوَنا أهل كفر بالله وشرك؟!

وجاءت الإجابة عن سؤالهم: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ»؛ قال الطبري في تأويل ذلك: "أصابكم الذي أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمري وترككم طاعتي، لا من عند غيركم ولا من قِبل أحد سواكم؛ إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قديرٌ، يعني: ذو قدرة".

> “ المعاصي والذنوب لها شؤم ونذير عقاب عاجل أو آجل. ”

وقال الزمخشري في معنى قوله تعالى: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ»: أنتم السبب فيما أصابكم؛ لاختياركم الخروج من المدينة. ونقل عن علي رضي الله عنه: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يُؤذن لكم.

وخلاصة أقوال المفسرين رحمهم الله: أن سبب الهزيمة يرجع في النهاية إلى حب الدنيا، ومخالفة أمر الرسول؛ سواء كان ذلك بأخذ الفداء من أسارى بدر أو مخالفة الرماة والنزول من الجبل، أو لاختيارهم الخروج من المدينة لملاقاة الأعداء؛ خلافًا لما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم.

إن المعاصي والذنوب لها شؤم ونذير عقاب عاجل أو آجل، ألم تكن المعصية سببًا في هبوط آدم وزوجته من الجنة، قال تعالى: «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» (طه: ١٢١-١٢٣)؛ وصدقَ الله إذ يقول: «قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ».

ألم يخرج نبي الله يونس ظنًّا منه أن الله لن يضيق عليه؛ فكانت النتيجة كما قال الله: «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ» (الصافات: ١٤٢). وقال سبحانه: «وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»

(الانبياء: ٨٧).

إن هذا القرآن، الذي لا يَخْلَق على كثرة الردَ، يدلنا على طريق النجاة في الدنيا والآخرة، فها هو يشير إلى أسباب المصائب؛ فمن ذلك قوله تعالى: « وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » (الشورى: ٣٠). وقوله سبحانه: « مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ » (النساء: ٧٩).

إن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يرى أن ما هم فيه هو من عند أنفسهم. فمن أين يأتي النصر لقوم عكفوا على قبور الموتى، وسألوهم من دون الله تعالى، وأجازوا للناس أن يطلبوا منهم المدد، وأوهموا الناس أن هؤلاء الموتى هم المفرجون للكربات، حتى قال قائلهم: "إن السيد البدوي مُهاب وإذا دُعي في البر أو البحر أجاب"!! وقال آخر: "إن خرساء كانت لا تنطق، ولم يفلح معها أي علاج، زارت قبر الإمام الحسين، وطلبت دخول المقام وصلت ركعتين، فخرجت وهي تكبر"!!

إن هذا يتنافى مع أسباب النصر، فهذا خروج عن دائرة التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » (البقرة: ١٨٦).

إن العكوف على القبور أصبح أمرًا عاديًا في كثير من بلاد المسلمين؛ فرُفعت القبور، ووضع عليها الحرير، وصارت القباب من الفضة، ووُضعت الصناديق التي تُؤدَى فيها النذور المقدمة لأصحاب هذه القبور، وأصبح تحذير الناس من ذلك يسمى كراهية للأولياء والصالحين. فإلى الله المشتكى.

«قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ» قيلت لقوم « ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ » (آل عمران: ١٧٢)، غير أنهم خالفوا رة، أو مالت نفوسهم لشيء ن المال بعد معركة طويلة جهد شاق. فما بال أقوام ر الربا فيما بينهم حلالا هم يقرؤون قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ » (البقرة: ٢٧٨)؟!

م بال أقوام حينما تكشف المرأة مفاتنها يقولون هذه حرية، وإن التزمت بحجابها عدوها رجعية وتخلفًا، وعائقًا عن ممارسة حياتها وسط الناس. فإلى الله المشتكى.

«قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ»: إذا كان هذا خطابًا مُوجهًا لخير الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وكان الواقع منهم لا يمثل شيئًا بجانب ما فيه المسلمون اليوم، فاستجابوا لله والرسول: فعلينا أن نقتدي بهم في الاستجابة لله والرسول، فإن هذا هو طريق النصر والتمكين؛ « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » (الرعد: ١١).

> “ إلى التوحيد الخالص يا عباد الله تفوزوا وتسعدوا: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧). ”

فإلى التوحيد الخالص يا عباد الله تفوزوا وتسعدوا: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧).

وإلى التوبة الصادقة من كل الذنوب يكتب لكم الفلاح ويغير الله حالكم إلى الفلاح: «وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور: ٣١).

فاللهم بصرنا بعيوبنا، واهدنا سبل السلام، واجعل ما يجري للمسلمين من بلاء طريقًا لتصحيح العقيدة وانتهاج سبيل المؤمنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَة لُقمَان

سُورَة لُقمَان

سورة لقمان

قال الله تعالى: « يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ (١٩) أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ »

(لقمان: ١٧- ٢٠)

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الوصيّة الخامسة: «واصبر على ما أصابك»:

قَال بَعْضُ العُلَماء: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» إذَا أمَرْتَ بالمَعْرُوف، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَر، فإنَّ المَعْرُوف ثَقيلٌ عَلى النَّفْس، مَكْرُوهٌ عِنْدَهَا، والمُنْكَر خَفيفٌ عَلَيْهَا، مَحْبُوبٌ عِنْدَهَا، كَمَا قَال عليه السلام: (حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِه وحُفَّتِ النَّار بالشَّهَوَاتِ) (صحيح مسلم ٢٨٢٢). فالآمر بالمَعْرُوف، النَّاهي عَنِ المُنْكر، يَأْمُر النَّاس بمَا يكْرَهُون، وَيَنْهَاهُمْ عمَّا يُحبُّون، وَهذا يَشُقّ عَلَيْهِمْ، فَرُبَّمَا طَالَتْه أَلْسِنَتُهُمْ بالأذى، وَرُبَّمَا أَيْدِيهِمْ، فَإنْ فَعلُوا فَعَلَيْه أنْ يَصْبر، فَإنَّ ذَلك مِنْ سُنَّةِ اللهِ فِي أنْبِيَائه وَرُسُله وَمَنْ قَام مَقَامَهُمْ. كَمَا قَال تَعَالَى لِرَسُوله عليه السلام: « وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ »(الأنعام: ٣٤).

وَقَال بَعْضُ العُلَمَاء: الوَصِيَّة بالصَّبْر عَامَّة، وَتَشْمَل الصَّبْر عَلى أذيَّة المَدْعُوين، فالدُّنْيَا دَار البَلاء والمَصَائب، أقْسَم رَبُّنَا سُبْحَانه أنه لا بُدَّ من ابْتلاء عباده: « لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ » (الأنفال ٣٧)، وَليَعْلَم الصَّابرين، كما قَال سُبْحَانَه: « وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ » (محمد: ٣١).

وَقَدْ كَثُر فِي القُرْآن الكريم الحَثّ عَلَى الصَّبْر وَالتَّرْغيب فيه، قَال تَعَالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ » (آل عمران: ٢٠٠)، وَقَال تَعَالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة: ١٥٣)، وقال تعالى: « وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ » (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

وَقَوْله تَعَالى: «إنَّ ذَلكَ مِنْ عَزْم الأمُور ١٧» يَعْني أنَّ ذَلك الَّذي وَصَّى به لُقْمَان ابْنَه، وَهُو إقَام الصَّلاة، وَالأمْر بالمَعْرُوف، وَالنَّهْي عَن المُنْكَر، وَالصَّبْر عَلى المَصَائب، من العَزَائم أي الأمُور الوَاجبَة.

الوصية السادسة: الأدب مع الناس:

«ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ١٨»: لما وصى لقمان ابنه بالأدب مع الله، أتبع ذلك بوصيته بالأدب مع الناس، ونحن إلى هذا الأدب أحوج ما نكون، كما قال ابن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم (الرسالة القشيرية: ص ٣٩٠).

وكان بعضهم يقول لولده: يا بني! ائت فلانا فتعلم من علمه، وما تتعلم من أدبه أحب إلي مما تتعلم من علمه.

«ولا تصعر خدك للناس» الخد معروف، والصعر مرض يصيب الإبل، فيلوي عنق الجمل، والمقصود: إذا خاطبت الناس أو خاطبوك، فأقبل عليهم بوجهك، ولا تعرض عنهم، ولا تلو عنقك إلى غير جهة المخاطب.

«ولا تمش في الأرض مرحا» أي تواضع للناس، ولا تتكبر، ولا تتبختر في مشيك، ولا تحتقر غيرك. «إن الله لا يحب كل مختال فخور ١٨» بل يبغضهم، ويعذبهم، كما في الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: (العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته) (صحيح مسلم ٢٦٢٠).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) (صحيح مسلم ٩١).

«واقصد في مشيك» القصد الاعتدال، والوسط بين الطرفين، «واقصد في مشيك» فلا تركض، ولا تتباطأ، ولكن بين ذلك، كما قال تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» (الفرقان ٦٣) أي بسكينة ووقار، من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم عليه السلام إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا، فقال: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة (تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٤).

«واغضض من صوتك» فلا ترفع صوتك فوق الحاجة إلا لضرورة، «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ١٩»، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته (تيسير الكريم الرحمن ٦/١٦٠). وهذه جملة تعليل، علل به الأمر بالغض من صوته، باعتبارها متضمنة تشبيها بليغا، أي لأن صوت الحمير أنكر الأصوات. ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير فله حظ من النكارة (التحرير والتنوير ٢١/١٦٨).

ما تضمنته هذه الوصايا من أمهات الحكم:

وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان ابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا، وهذا كله من آثار الحكمة التي من الله بها عليه.

فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره بمراقبة الله، وخوفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى، فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها، ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباده أن قص عليهم من حكمته ما يكون لهم به أسوة حسنة (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٦٠و١٦١).

واجب الآباء نحو الأبناء:

فهل يعي الآباء هذه الوصايا؟ وهل يوصون بها أبناءهم قياما بالواجب الذي كلفهم الله به، حيث قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (التحريم: ٦). عن عليٍّ رضي الله عنه قال: أدِّبوهم وعلِّموهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر، يُنجكم الله من النار. وقال مجاهد رحمه الله: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله. وقال قتادة رحمه الله: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه. فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل رحمهما الله: حقٌّ على المسلم أن يعلم أهله من قرابته، وإمائه، وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه.

وفي معنى هذه الآية قول النبي عليه السلام: (مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع) (صحيح سنن أبي داود: ٤٦٥). قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمرٌّ على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية، وترك المنكر، والله الموفق (تفسير القرآن العظيم (٤/٣٩١).

من دلائل التوحيد: النعم التي لا تعد ولا تحصى:

« ألم تروا أنَّ الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »: المقصود الأعظم من القرآن الكريم إعلام الناس أنه لا إله إلا الله، ليعبدوه، وبالإلهيَّة يُفردوه، ولذلك يبدئ ربنا سبحانه ويعيد في ذكر الأدلة الدالة على ذلك، « لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ » (الأنفال ٤٢).

فلمَّا استدل سبحانه في أول السورة بقوله: « خلق السماوات بغير عمد ترونها » على الوحدانية، استدل على الوحدانية بالنعمة، لأنَّ الملك يُخدم لعظمته وإن لم يُنعم، ويُخدم لنعمته أيضًا، فلمَّا بيَّن أنه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد، وإلقائه في الأرض الرواسي، وذكر بعض النعم بقوله: « فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ١٠ »، ذكر بعده عامة النعم فقال: « ألم تروا أنَّ الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (التفسير الكبير ٢٥/١٥٢و١٥٣).

والاستفهام في: « ألم تروا » تقرير أو إنكار لعدم الرؤية، بتنزيلهم منزلة من لم يروا آثار ذلك التسخير، لعدم انتفاعهم بها في إثبات الوحدانية. والرؤية بصرية. ورؤية التسخير رؤية آثاره ودلائله. ويجوز أن تكون الرؤية علمية كذلك. والخطاب يجوز أن يكون لجميع الناس مؤمنهم ومشركهم لأنه امتنان. ويجوز أن يكون لخصوص المشركين باعتبار أنه استدلال (التحرير والتنوير ٢١/١٧٣).

والتسخير: جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له. فمن مخلوقات السماوات المسخرة لبني آدم بأمر الله سبحانه: الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، وغير ذلك، ومن مخلوقات الأرض المسخرة: الأحجار، والمعادن، والتراب، والزرع، والشجر، والثمر، والبحار، والأنهار، والحيوانات، والدواب التي ينتفعون بها، والعشب الذي يرعون فيه دوابهم، وغير ذلك ممَّا لا يُحصى كثرة (فتح البيان في مقاصد القرآن ٥/٣٠٢).

وإسباغ النعم: إكثارها. وأصل الإسباغ: جعل ما يلبس سابغًا، أي وافيًا في الستر. ومنه قولهم: درعٌ سابغة. ثم استعير للإكثار، لأن الشيء السابغ كثير. ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقة، فقيل: سوابغ النعم. والنعمة: المنفعة التي يقصد بها فاعلها الإحسان إلى غيره. وفي الإضافة إلى ضمير الله تنويه بهذه النعم. (التحرير والتنوير ٢١/١٧٣).

والنعم الظاهرة قيل: هي الصحة وكمال الخلق، والباطنة المعرفة والعقل. وقال المحاسبي: الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى. وقيل: الظاهرة ما يرى بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات (الجامع لأحكام القرآن ١٤/٧٣و٧٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

دور المؤسسات الدولية في السيطرة على اقتصادات الدول النامية

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فيتّسم الاقتصاد في عصرنا بخضوعه للمتغيرات السياسية، فلم تعد قرارات الدول -وخاصة النامية- نابعة من إرادتها، وإنما يخضع في المقام الأول لرغبة شرطي العالم الولايات المتحدة الأمريكية، التي سعت لتصدير نموذج الإنسان الأمريكي إلى سائر بلدان العالم؛ وعبّر مفكروهم عن ذلك في كتبهم، لتقتفي شعوب العالم أثره، باعتباره النموذج الذي توقف التاريخ عنده باعتباره (الإنسان الأخير)، وباعتباره آخر تطور بشري تقوم عليه الساعة (نهاية التاريخ)، وأن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال معارك طاحنة للقضاء على الحضارات والأديان الأخرى (صراع الحضارات).

ولذلك لم يعد بمقدور الدول أن تختار التوجه الاشتراكي، أو الاقتصاد الموجه، وإنما هناك اقتصاد واحد يخضع له العالم (حتى الصين الشيوعية)، وهو اقتصاد السوق (الاقتصاد الرأسمالي)، وهو أمر من الخطورة بمكان لكل طامح إلى إيجاد اقتصاد يلتزم الأحكام الإسلامية في سائر معاملاته؛ حيث أدت صعوبة تحقيق ذلك في ظل الظروف السياسية وفي ظل الهيمنة الأمريكية، إلى محاولة البعض إباحة بعض المعاملات التي تم الاتفاق على حرمتها من قبل كمعاملات البنوك، وإلى محاولة تخريج المعاملات التي أفرزتها البنوك والبورصات الغربية على قواعد الفقه الإسلامي حتى ولو باستخدام أسلوب التلفيق، في مفارقة ظاهرة لاستقلال الفقه الإسلامي واستقلال الاقتصاد الإسلامي بأصوله وقواعده، وأنه لا يضيره الاتفاق أو الاختلاف مع غيره؛ لأن له استقلاله وذاتيته التي يتمايز بها عن غيره.

ونعرض لأثر السياسة الأمريكية على الاقتصاد في سائر دول العالم من خلال إخضاعها لتحقيق المصلحة الأمريكية بالأسلوب الخشن من خلال مبدأ مونرو، ثم نعرض للسيطرة على اقتصاد الدول النامية بالأسوب الناعم من خلال المؤسسات الدولية، واتباع سياسة المشروطية السياسية (اتباع النظام الديمقراطي، التعددية والأحزاب، حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، المجتمع المدني)، والمشروطية الاقتصادية (التحول القسري لاقتصاد السوق) للحصول على القروض.

مبدأ مونرو:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى السيطرة على الشطر الغربي من الكرة الأرضية من خلال مبدأ مونرو؛ الذي أطلقه عام ١٨٢٣م الرئيس الأمريكي جيمس مونرو (١٨١٧- ١٨٢٥م)، والذي مفاده أحقية الولايات المتحدة الأمريكية في التوسع في نصف الكرة الأرضية، وتقرير حقها في غزو أيّ دولة في أمريكا الجنوبية أو أمريكا الوسطى حال رفضها مساندة سياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

مبدأ "مونرو" وقناة بنما:

وأضاف الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت إلى مبدأ مونرو أمرًا آخر؛ وهو حق الولايات

المتحدة في القيام بدور شرطي العالم، من خلال امتلاك القوة العسكرية واستخدامها لفرض الهيمنة الأمريكية. وطبق روزفلت ذلك عام ١٩٠٣م في كولومبيا، حينما قام المهندس الفرنسي فرديناند دليسبس -الذي أشرف على إنشاء قناة السويس- عام ١٨٨١م بإنشاء قناة بنما لتربط بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي، وكانت تقع آنذاك في كولومبيا وكانت بنما جزءًا منها.

وطلب الرئيس الأمريكي روزفلت أن توقع كولومبيا على توقيع معاهدة تُخضع القناة لسيطرة الولايات المتحدة من خلال اتحاد شركات "أمريكا الشمالية"، ولرفض كولومبيا ذلك أرسل الرئيس الأمريكي روزفلت أسطوله الحربي ليقبض على قادة الجيش الكولومبي ويعدمهم، وليعلن استقلال بنما عن كولومبيا، ليتم تعيين حكام موالين للولايات المتحدة.

وظل الأمر كذلك حتى حدث الانقلاب الذي جاء بالرئيس عمر توريخوس، والذي لم يكن فاسدًا ولم يكن قابلاً للإفساد، وبالتالي لم يكن مفضلاً للنظام الأمريكي، وخاصة لما أراد استغلال قناة بنما لصالح شعبها الفقير، فقامت المخابرات الأمريكية بتفجير طائرته عام ١٩٨١م لتضع حدًا لاستقلال بنما، وتعيد تبعية قناة بنما لها مرة أخرى، من خلال تولية الموالين لها.

مبدأ "مونرو" والإكوادور:

ولم يكن مقتل عمر توريخوس المؤامرة الوحيدة للولايات المتحدة، بل هي نفس ما سبق أن حدث مع الأستاذ الجامعي خايمي رولدوس رئيس الإكوادور؛ والذي قدم قانونًا ينظم عمليات استكشاف وبيع النفط ومشتقاته إلى البرلمان، ليقوم بإعادة تشكيل علاقة الدولة بشركات النفط. وهو ما يعني تغيير الطريقة التي يدار بها العمل في القطاع النفطي للبلاد؛ وهو ما سيجعله قدوة لباقي بلدان أمريكا اللاتينية، بل وغيرها من دول العالم؛ فقامت المخابرات الأمريكية أيضًا بتفجير طائرته عام ١٩٨١م، وهو ما أثار غضبًا واسعًا ضد الولايات المتحدة الأمريكية. ثم قامت الولايات المتحدة بإغراق الإكوادور بالديون حتى أفلست لإحكام السيطرة عليها، وبقصد أن يعجز كل مخلص عن إنقاذ بلاده من براثنها.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مسّت الحاجة إلى وضع أسس النظام العالمي الجديد بعد فشل عصبة الأمم في حفظ السلم فيما بين الحربين، ولأن الصراع على الموارد الاقتصادية والصراع على المستعمرات واحتكار المواد الأولية في التجارة الدولية من أهم أسباب الحروب فكان لا بد من وضع تنظيم جديد للاقتصاد العالمي ينظم هذه الأمور، هذا ظاهر الأمر وحقيقته أن تنتقل الولايات المتحدة من السيطرة الظاهرة المباشرة، إلى السيطرة الناعمة من خلال هذه المؤسسات، ولكن لا يحول هذا دون التدخل الخشن إذا استدعى الأمر.

مؤتمر بروتن وودز وتحويل الدولار إلى العملة المهيمنة على التجارة العالمية:

في مايو ١٩٤٤م وجَّه الرئيس الأمريكي روزفلت الدعوة إلى ممثلي ٤٤ دولة لحضور مؤتمر لمناقشة مشروع صندوق النقد الدولي، وانعقد المؤتمر في أول يوليو ١٩٤٤م في بروتن وودز في نيوامبشير بالولايات المتحدة الأمريكية، لوضع الخطط من أجل استقرار النظام العالمي المالي والنقدي وتشجيع إنماء التجارة بعد الحرب العالمية الثانية، وكان هناك مشروعان: أولهما: تقدم به الاقتصادي البريطاني كينز، ويتمثل في إنشاء عملة دولية ذات غطاء ذهبي لتسوية المعاملات بين الدول تسمى "البانكو". وثانيهما: تقدم به الاقتصادي الأمريكي هاري هوايت، وهذا المشروع كانت له الغلبة؛ حيث أصرت الولايات المتحدة الأمريكية على أن تتم تسوية المعاملات بين الدول بالدولار مع تعهدها بتغطيته بالذهب، وتم احتساب أوقية الذهب بسعر ٣٥، وكان يحق لأي دولة أن تطلب من الولايات المتحدة الأمريكية تحويل ما لديها من دولارات إلى ذهب مُقوَّمة بهذا السعر. كما ساهم في دعم الدولار الاتفاق الأمريكي السعودي (البترو- دولار)، والذي بموجبه يتم بيع البترول بالدولار. ولكن تنصلت أمريكا بوعدها ففي عام

١٩٧٠م؛ حيث قام الرئيس الأمريكي نيكسون بالغاء تحويل الدولار إلى ذهب بإعلان منفرد من طرف واحد ليتحول الدولار من مجرد ورقة إلى سلع (مواد خام - ذهب - بترول) في أي دولة في العالم، ولعل هذا ما تسبب في صدور العملة الأوروبية "اليورو".

وانبثق عن مؤتمر بروتن وودز منظمتان دوليتان هما: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للتعمير والتنمية.

أثر صندوق النقد الدولي في تحويل البلاد النامية إلى اقتصاد السوق:

تم تأسيس صندوق النقد الدولي (IMF) ليكون المؤسسة المركزية في النظام النقدي الدولي أي نظام المدفوعات الدولية وأسعار صرف العملات الذي يسمح بإجراء المعاملات التجارية بين البلدان المختلفة، ويستهدف الصندوق منع وقوع الأزمات عن طريق تشجيع البلدان المختلفة على اعتماد سياسات اقتصادية سليمة، كما أنه يقوم بإقراض الأعضاء الذين يحتاجون إلى التمويل المؤقت لمعالجة ما يتعرضون له من مشكلات في ميزان المدفوعات.

ولكن أفرز الواقع عن الحقيقة، وهي أن صندوق النقد هو أداة لتحقيق العولمة الاقتصادية عن طريق إلزام الدول التي احتاجت للاقتراض منها بقبول برامج التكييف الهيكلي structural adjustment programs لإعادة هيكلة أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والغاء دور الدولة الاقتصادي، والضغط على الدول المدينة لخصخصة المؤسسات الاقتصادية العامة بأسرع ما يمكن لدمجها في الاقتصاد العالمي.

دور البنك الدولي للتعمير والتنمية في تحقيق العولمة الاقتصادية:

يسميه البعض بالبنك الدولي للإنشاء والتعمير، والصحيح البنك الدولي للتعمير والتنمية International Bank for Reconstruction and Development، ويطلق عليه اختصارًا البنك الدولي (WB)، وهدفه المساهمة في تمويل إعادة تعمير وبناء الدول الحليفة المتضررة من الحرب العالمية الثانية، وتمويل المشاريع التنموية الاقتصادية للدول الأعضاء، وتقديم القروض التنموية المنتجة (Productif)، والمحافظة على ميزان مدفوعات الدول الأعضاء، وتشجيع الاستثمارات الدولية، فضلاً عن اضطلاعه ببرامج الإصلاح الاقتصادي.

استغل البنك الدولي الاستثمارات الأجنبية Foreign Investment لتكون إحدى أهم وسائل إدماج البلاد النامية في الاقتصاد العالمي، وكانت السياسة التي رسمها لستر بولز بيرسون (رئيس وزراء كندا في المدة من ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٨م) في تقريره الذي أعده لستر عام ١٩٦٩م -كطلب روبرت مكنمارا الرئيس السابق للبنك الدولي- شديدة الوضوح على أن الاستثمارات الأجنبية ستكون المعول الذي يقضي على استقلال الدول المقترضة، ويحقق التبعية الكاملة للدول الدائنة.

وكان هدف إعداد التقرير هو إعطاء غطاء من قبل "الأمم المتحدة" لرسم استراتيجية جديدة في السبعينيات حول توجه رؤوس الأموال الفائضة في البلدان الرأسمالية، التي تبحث عن معدلات أعلى للأرباح تفوق تلك الموجودة داخل بلدانها، وحتى تتوجه رؤوس الأموال إلى البلدان النامية انتهى تقرير لستر بيرسون إلى أنه يتعين عليها تحسين وضع القطاع الخاص وازالة العوائق التي تقف أمام الاستثمار الخاص المحلي، وأنه يتعين عليها أن تتحول لاقتصاد السوق، كما طالب التقرير بضمان وحماية الاستثمارات الأجنبية الخاصة التي تؤمن المستثمرين ضد مخاطر التأميم والمصادرة وفرض الحراسة، وأن تكفل لهم تعويضًا ملائمًا وحرية تحويل هذا التعويض إلى الدولة الأم، كما طالب التقرير بامتيازات ضريبية تمنحها الدول النامية للاستثمارات الأجنبية، فضلاً عن تقديم الأراضي بأسعار زهيدة، كما طالب بتصفية القطاع العام ونزع مضمونه الاجتماعي، باعتباره ملكية عامة للشعب.

وكانت هذه المطالب في مبدأ الأمر موضع رفض من الدول النامية، ولكنها سرعان ما أذعنت لهذه المطالب بعد تراكم المديونية وبعدما لاح في الأفق شبح الإفلاس، فخلال حقبة

الثمانينيات عانت الدول النامية من ظاهرة تنامي مديونياتها، ومن ثم برزت أزمة ديون العالم الثالث.

المؤسسات الدولية وأزمة ديون العالم الثالث:

برزت أزمة ديون العالم الثالث -التي عرفت بأزمة المكسيك- حينما عجزت المكسيك فى أغسطس ١٩٨٢م عن مواجهة أعباء خدمة ديونها الخارجية البالغة ٨٠ مليار دولار، وتبعتها بعد ذلك كل من البرازيل وفنزويلا والأرجنتين، وهو الأمر الذي أدى إلى انهيار العديد من البنوك الأمريكية العملاقة التي توسعت في الإقراض لهذه الدول. وأثر ذلك على التنمية الاقتصادية في أمريكا اللاتينية لعقد كامل، وللخروج من هذا المأزق أصدر الكونجرس الأمريكي قراره بتقديم قروض قصيرة الأجل للمكسيك بقيمة ٤٠ مليار دولار، كما قام صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية الأخرى، بتقديم مساعدات وصلت إلى ٢٠ مليار دولار للخروج من هذه الأزمة، ولأن القروض الجديدة -وهي بفوائد جديدة وأعباء خدمة دين جديدة- يخصص الجزء الأكبر منها لسداد الدين القديم ويخصص الجزء المتبقي لخدمة الديون القديمة والجديدة كان من الطبيعي أن يستمر عجز الدول النامية عن سداد ديونها، وانتهى الأمر بأن ترضخ لشروط المؤسسات الدولية (البنك الدولي والصندوق الدولي) لإعادة جدولة ديونها لتجنب كارثة الإفلاس، وذلك تحت مسمى الإصلاح الاقتصادي؛ والذي يتضمن جملة من التغييرات أهمها العودة إلى الاقتصاد الحر، وتخلي الدول عن ملكيتها لوسائل الإنتاج، وتوسيع قاعدة ملكية القطاع الخاص (الخصخصة)، وتخلي الدولة عن دورها الاجتماعي عن طريق رفع الدعم عن السلع الاستهلاكية الأساسية، ورفع الحماية عن المنتج المحلي، ورفع القيود عن التجارة الخارجية، واعتماد الأسعار الحرة للصرف الأجنبي، وفتح المجال للاستثمارات الخارجية والشركات الأجنبية دون قيد أو شرط، ويُصطلح على تسمية هذه السياسة بالمشروطية.

إفلاس المكسيك:

كان لاتباع سياسات الإصلاح الاقتصادي آثاره السلبية على الاضطرابات والثورات التي شهدتها العديد من البلدان؛ نتيجة عدم مراعاة البعد الاجتماعي في برامج الإصلاح الاقتصادي مثل ما حدث في المكسيك، والتي باعت حكومتها ٩٦١ شركة من إجمالي ١١٥٥ كانت مملوكة للدولة عام ١٩٩٢م؛ نتيجة لتطبيق برنامج الاصلاح الاقتصادي؛ مما عرّض العاملين لفقد وظائفهم، وفي عام ١٩٩٤م خفّضت عملتها "البيزو" بنسبة ٤٠٪ مقابل الدولار -بعد تحرير سعر الصرف وتعرضها لمضاربات عنيفة- مما أدى إلى ارتفاع الأسعار على نحو غير مسبوق، وبلغت نسبة التضخم ١٦٠٪، وانتهى الأمر بتوقف المكسيك عن الوفاء بديونها واشهار إفلاسها.

إفلاس الأرجنتين:

ما حدث في المكسيك تكرر في الأرجنتين والتي شهدت أزمة مالية حادة عام ٢٠٠١م نتيجة الإفراط في الاستدانة، حتى بلغت ديونها ١٣٢ مليار دولار أي نحو سبع إجمالي ديون العالم الثالث آنذاك، ولحاجة حكومة الأرجنتين إلى قرض لسداد فوائد القروض السابقة؛ فقد امتثلت لتعليمات صندوق النقد الدولي طمعًا في الإفراج عن قرض قيمته ١,٣ مليار دولار، وقامت بتخفيض الإنفاق العام بنسبة ٢٠٪ ولتحقق ذلك خفضت أجور العاملين بالحكومة بنسبة ١٣٪، وزادت الضرائب ورفعت أسعار السلع الأساسية، وهو ما أدى إلى مظاهرات في أنحاء الأرجنتين انتهت بالإطاحة برئيس الدولة وبالحكومة، وتعاقب عدد من الرؤساء على الحكم في الأرجنتين في فترة زمنية قليلة لمحاولة استعادة الاستقرار.

القروض سبب نكبات الدول:

ومن ثم يتبين بجلاء أن القروض هي بوابة للخضوع للعولمة الاقتصادية، ولضياع السيادة الوطنية وعودة الامتيازات الأجنبية بكل ما تعنيه هذه الكلمة. فمن خلال هذه المؤسسات الدولية - وغيرها- تم http://

html.com/t٩٠٥٨.٩٩-www.forums.b

دمج الاقتصادات الوطنية بالسوق الرأسمالية العالمية بإشراف المؤسسات الاقتصادية العالمية ممثلة في صندوق النقد الدولي الذي يقوم على نظام النقد الدولي، والبنك الدولي الذي يعمل على تخطيط التدفقات المالية طويلة المدى. ومن ثم فإن أرادت الدول أن تحتفظ بسيادتها، وبثرواتها، فعليها أن تقلع عن الاقتراض، فالاقتراض مذموم لا يجوز لغير ضرورة ملجئة إن كان قرضًا حسنًا، فكيف إن كان قرضًا ربويًا محرمًا يستجلب حربًا من العزيز القهار.

ومن ثم فعلى هذه الدول أن ترشد نفقاتها، وأن تتقشف في كل ما يتعلق بمظاهر الترف والبذخ، وأن تحسن استغلال مواردها، وأن تقصي كل من يعبث في ثروات بلادها فتقضي على كل مظاهر الفساد، وحينئذ تحرر من رق العبودية للدائنين، وقد انتبهت دول لذلك لعدم إشهار إفلاسها؛ فقام رؤساؤها ببيع طائراتهم وانفاق أثمانها في بناء مستشفيات للفقراء والمعوزين كما فعل الرئيس المكسيكي أندريس مانويل، الذي انتقد الحكومة السابقة لشراء طائرة الرئاسة بمبلغ ١٣٠ مليون دولار، باعتبارها رمزًا للإسراف الشديد من جانب الحكومة، ليقوم بالسفر بالرحلات التجارية كسائر المواطنين ببلده، وكما فعلت رئيسة مالاوي جويس باندا بعد تعرض بلادها لنقد من المانحين الغربيين لقيام الرئيس السابق بينجو موثاريكا بشراء طائرة رئاسية بمبلغ كبير رغم أن اقتصاد دولته يعتمد على المنح التي تقدمها الدول الغربية وخاصة إنجلترا، واستغنت عن ٥٠ سيارة مرسيدس تابعة للرئاسة وقامت بتخصيص الثمن لشراء الغذاء ولزراعة البقول لأكثر من مليون فقير في بلدها.

ولا ننسى ما حدث في مصر في نوفمبر ٢٠٠٦م حينما قدم رئيس سنغافورة أس. أر. ناثان في زيارة رسمية إلى مصر على الخطوط الجوية الإماراتية على متن طائرة ركاب عادية على كرسي وسط المواطنين؛ وفي رحلته إلى مدينة الأقصر تم حجز عدد من مقاعد الدرجة الأولى للرئيس والوفد المرافق له، في رحلة عادية لمصر للطيران لامتناعه عن تأجير طائرة خاصة رغم أن كلفتها لا تتعدى بضعة آلاف من الدولارات الأمريكية، وذلك من باب ترشيد الإنفاق في ضوء المخصصات المالية الممنوحة له، رغم أن دخل سنغافورة القومي من أعلى الدخول في العالم، وهذه التصرفات تجد جذورًا راسخة عند المسلمين وهو أولى الناس بها.

التأسي بالسلف الصالح سبيل نجاة:

فلا ننسى أيضا عمر رضي الله عنه الذي كان راتبه وجبتان بالغداة والعشي، وكسوتان بالصيف والشتاء، فمات مدينًا ويوصي ابنه عبد الله وهو على فراش موته بقضاء الدين، ويقول: "إن عجز مالنا فاستعن ببني عدي"؛ فأمير المؤمنين لم يمنح قرابته مالًا ولا جاهًا؛ ولم يول أحدًا منهم منصبًا؛ ورغم ذلك يستعين بهم على قضاء دينه، ويقول: "وان لم يكف مالهم فاستعن بقريش"، وهذا الدين كان في ماله هو وليس دينًا على خزينة الدولة، وبيعت داره في قضاء دينه، وهي التي عرفت اختصارًا بدار القضاء كما في حديث أنس بن مالك في الصحيحين: "أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة، من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله!، هلكت الأموال، وانقطعت السبل؛ فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: فلا والله! ما رأينا الشمس سبتًا....". والشاهد قوله: "من باب كان نحو دار القضاء" أي من نحو دار عمر بن الخطاب التي بيعت في قضاء دين وسميت (دار القضاء) على سبيل الاختصار.

رضي الله تعالى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعًا وأرضاهم، ومن سار على نهجهم واستن بسنتهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين... اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين.

كيف أنصح لكتاب الله عز وجلّ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لِمَن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». (أخرجه مسلم في صحيحه بتبويب نووي- باب بيان أن الدين النصيحة(١/٧٤حديث٥٥) وهذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وقد أجاد الإمام النووي رحمه الله حين قال عنه: "هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام" (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٢/٣٧)).

وقد اعتنى العلماء ببيان أوجه النصيحة في كل قسم من هذه الأقسام التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بينها النصيحة لكتاب الله عز وجل.

إعداد: أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

وفي هذه المقالة أسلط الضوء على كيفية النصح لكتاب الله عز وجل وأسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

والحق أن نصيحة العبد لكتاب ربه عز وجل تتضمن أمورا كثيرة وتشمل حقوقا متعددة ينبغي له استحضارها، والاشتغال بها، واتخاذها منهجا له في حياته.

ودونك أهم هذه الأبواب التي تندرج في النصيحة لكتاب الله عز وجل

١- الإيمان بأن هذا الكتاب- وهو القرآن الكريم- منزل من عند الله رب العالمين وأنه كلامه أوحى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام قال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ» (الشعراء:١٩٢-١٩٤). وقال تعالى: «وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ» (التوبة: ٦).

قال ابن حزم في كتابه "مراتب الاجماع" تحت عنوان: بَاب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خَالفه بإجماع: " وَأَن الْقُرْآن المتلو الَّذي فِي الْمَصَاحِف بأيدي النَّاس فِي شَرق الأَرْض وغربها من أول «الْحَمد لله رب الْعَالمين» إِلَى آخر «قل أعوذ بِرَبّ النَّاس» هُوَ كَلَام الله عز وَجل ووحيه أنزلهُ على نبيه صلى الله عَلَيْه وَسلم مُخْتَارًا لَهُ من بَين النَّاس" (مراتب الاجماع لابن حزم صـ١٧٣).

وأما إضافة القرآن إلى جبريل عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ

مَكِينٍ» (التكوير: ١٩-٢٠)، وإلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ» (الحاقة: ٤٠-٤١) فهي من باب إضافة البلاغ والإرسال فهما مبلغان عن الله عز وجل كلامه لا تصريف لهما فيه بتبديل أو زيادة أو نقصان؛ ولذا جاء التعبير عنهما في الموضعين بـ" رسول" دون" ملك أو نبي".

قال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ» (يونس: ١٥).

٢- تعظيم القرآن الكريم واحترامه

تعظيم القرآن الكريم أمر متفق عليه بين المسلمين؛ لأنه من تعظيم الله سبحانه وتعالى. قال النووي رحمه الله:" أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيهه وصيانته"(التبيان في آداب حملة القرآن للنووي صـ١٦٤).

ومن أجل تعظيم القرآن الكريم شرعت أحكام تتعلق بتلاوته أو بمس المصحف الذي يضم بين دفتيه القرآن الكريم كالطهارة، والتسوك، والتعوذ إلى غير ذلك من آداب.

وقد ذكر العلماء صورا كثيرة ووجوها متنوعة لتعظيم القرآن الكريم، وأوردوها في حديثهم عن شعب الإيمان يمكن الرجوع إليها في مظانها من المصنفات(ينظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي(٢/٢١١٩)، وشعب الإيمان للبيهقي(٣/٣٢٧)).

وكما جاءت الأدلة بتعظيم القرآن الكريم فقد جاءت أيضا بالتحذير مما ينافي تعظيمه أو يناقض احترامه كالمراء في القرآن، وتفسير القرآن بغير علم؛ لأن ذلك من القول على الله بغير علم وهو من أكبر المحرمات.

٣- قراءة القرآن الكريم، وترتيله، والاستماع إليه، وحفظه.

من النصيحة لكتاب الله عز وجل تلاوته وترتيله، قال تعالى: «إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ» (النمل:٩١-٩٢)، وقال تعالى: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا» (المزمل:٤).

والمعنى:" اقرأ، على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: " كان يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها" (ينظر: تفسير ابن كثير(٨/٢٥٠)، والحديث في صحيح مسلم برقم٧٣٣).

وقد رتب الشرع على هذه التلاوة الأجور العظيمة، والفضائل الكثيرة.

قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر:٢٩-٣٠) والمراد بقوله:" يَرْجُونَ تجارَةً لَنْ تَبُور" أي: يرجون ثوابا عند الله لا بد من حصوله قاله ابن كثير في تفسيره(٦/٦٤٥).

وأخرج مسلم في صحيحه(حديث٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِه... ».

وأخرج الترمذي في سننه (حديث٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»، وجاء موقوفا عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا، والوقف لا يضر هنا بل يكون له حكم الرفع؛ لأن هذا مما لا مجال للرأي فيه.

وقد حثنا ربنا سبحانه وتعالى على الاستماع للقرآن الكريم سماع تحقيق وقبول، والإنصات إليه بخشوع وخضوع لاسيما في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة، ورتب على ذلك حصول الرحمة التي لا غنى لأحد عنها قال تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الأعراف:٢٠٤).

والاستماع أبلغ من السماع؛ لأن صيغة الافتعال دالة على المبالغة في الفعل فالمراد المبالغة في

الإصغاء، ويحتمل أن الاستماع يراد به أيضا الامتثال للعمل بما فيه (ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٩/٢٣٩)).

ومعنى الإنصات السكوت في خلال القراءة ورعايتها إلى انقضائها تعظيما للقرآن الكريم وتكميلا للاستماع (ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/٣١٠)).

قال القاضي البيضاوي: "وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما(أي: الاستماع والإنصات) حيث يقرأ القرآن مطلقا، وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة" (أنوار التنزيل(٣/٤٧)).

وقال الشيخ السعدي: " هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدى متزايدا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير"(تيسير الكريم الرحمن صـ٣١٤).

ولما كان لهذا الاستماع أثر كبير على النفس والقلب فقد تواصى الكفار بالإعراض عن القرآن وعدم السماع له قال تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ » (فصلت:٢٦).

ويلاحظ أنه قد جاء النهي هنا بصيغة السماع لا الاستماع، وكأن فيه إشارة -والله أعلم- إلى خوف الكفار من أن يتسرب شيء من القرآن الكريم إلى قلوبهم، أو يعلق شيء منه بآذانهم لما له من عظيم الأثر وجليل الوقع.

وقد كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه يحب أن يسمع القرآن الكريم من غيره، ويدل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليَّ»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: « فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا » (النساء: ٤١) قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان»(صحيح البخاريحديث٤٥٨٣، ومسلم في صحيحه حديث٨٠٠) فـ" يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه صلى الله عليه وسلم من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها" (فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٩/٩٤)).

وجليٌّ مما تقدم أن من أعظم مقاصد الاستماع التدبر والاستجابة لهذا المتلو؛ ولذا فقد ذكر العلماء آدابا لاستماع القرآن منها ما ذكره القرطبي عن وهب بن منبه:" من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها. فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم" (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١١/١٧٦)).

هذا ومن النصيحة لكتاب الله تعالى حفظه عن ظهر قلب لمن أمكنه ذلك واستطاعه، وأما من عجز عنه فبحسب ما تيسر له.

ولحافظ القرآن الكريم منزلة عظيمة ومقام رفيع.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران»(أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب تفسير القرآن حديث ٤٩٣٧).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقال - يعني لصاحب القرآن -: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها" (أخرجه الترمذي في سننه حديث(٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح).

قال زين الدين المناوي:" أي عند حفظك أو آخر تلاوتك لمحفوظك"(فيض القدير للمناوي(٢/٤٥٨)).

٤- تدبره وتفهم معانيه

إنَّ تدبر القرآن الكريم وتفهم معانيه من أجلِّ أبواب النصيحة للكتاب المنزَّل.

وقد ذمَّ الله عز وجل المعرضين عن تدبر القرآن الكريم فقال عز وجل: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (النساء: ٨٢)، وقال عز وجل: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » (محمد: ٢٤).

وفي الآيتين دليل على أن تدبر القرآن الكريم من الأمور الممكنة لعامة الخلق؛ لأن الله خاطب بهما من أعرض عن تدبر القرآن الكريم من الكافرين، ويؤكد هذا أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ ومن ثمَّ فلا ينبغي الإعراض عن تدبره بدعوى أن للتدبر أناسا مخصوصين، وأقواما معينين بل إن تدبره ممكن لكل من أقبل عليه، ورام الهداية به، وإن كان هناك تفاوت بين الناس في هذا التدبر بحسب ما أعطاهم الله عز وجل من إمكانات علمية وقدرات وهبات.

وقد بيَّن الله عز وجل أن تدبر القرآن الكريم طريق الحصول على بركات القرآن وخيراته فقال سبحانه: « كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » (ص: ٢٩).

وأصل مادة التدبر في اللغة يدل على آخر الشيء وخلفه كما ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة(٢/٣٢٤) وعليه فالمراد بالتدبر النظر في عواقب الأمور، والمتدبر على ذلك لا يتوقف عند معاني الألفاظ، وإنما يغوص في مراميها، ويحاول الوقوف على مقاصدها، وما تهدف إليه.

والظاهر أن التدبر استعمل أيضًا في كل تأمل وتفكر بأناة.

والكلام عن تدبر القرآن وفوائده وطرق تحصيله وتحرير مسائله يحتاج إلى حديث خاص لا يناسبه هذا المقام.

والمناسب هنا أن نعلم أن تدبر القرآن الكريم، ومحاولة فهمه، وتأمل معانيه من أعظم النصيحة لكتاب الله عز وجل، وأنه سبيل الحصول على البركة والهدى.

قال ابن القيم:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى
فالعلم تحت تدبر القرآن.

ومن أعون الطرق لتدبر القرآن الكريم شعور العبد بأنَّ آيات القرآن الكريم رسائل من الله عز وجل موجهة إليه ؛ فيقبل العبد على مولاه، ويحاول أن يعرف مراد الله منه قدر استطاعته.

ويعينه على ذلك تكرار الآية المرة بعد الأخرى، وألا يكون همه متى ينتهي من السورة، وإنما ماذا عمل منها، وما حق الله عليه فيها؟

قال بشر بن السَّري: "إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتها استخرجت حلاوتها فحدث به أبو سليمان فقال صدق إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها" (البرهان في علوم القرآن للزركشي(١/٤٧١)).

٥- العمل بالقرآن والتحاكم إليه

من أعظم النصيحة لكتاب الله عز وجل العمل بتعاليمه، والتحاكم إليه

قال تعالى: « وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ »(الشورى: ١٠).

والعمل بالقرآن الكريم والاهتداء به ثمرة التدبر الحق، والمقصد من إنزاله.

قال أبو بكر الآجري:" فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسُن من فعله وما قبح منه، فما حذَّره مولاه حذره، وما خوَّفه من عقابه خافه، وما رغَّبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه" (أخلاق حملة القرآن للآجري ص٦٢)..

ولعلي - نظرًا لأهمية هذا الوجه في تحقيق النصيحة لكتاب الله عز وجل- أفرد الحديث عنه بإذن الله بمقالة مستقلة تبرز أهمية العمل بالقرآن، والسبيل إلى تحقيق ذلك.

والله ولي التوفيق.

طعم الإيمان وحلاوته

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أنس -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجدَ بهنَّ حَلاوَةَ الإيمان: أنْ يَكونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحبَّ إليه ممَّا سواهُمَا، وَأنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْر بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ الله منْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّار». أخرجه البخاري في الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (١٦)، وباب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان (٢١)، وفي كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٦٩٤١)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٧- ٤٣)، (٦٨- ٤٣).

عود على بدء مع هذا الحديث العظيم الذي كنا قد تناولنا منه الخصلة الأولى في مقال شهر ربيع الآخر، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوَةَ الإيمان: أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه ممَّا سَوَاهُمَا».

وسوف نتناول في هذا المقال الخصلتين الباقيتين في الحديث.

أما الخصلة الثانية:

قال ابن رجب في فتح الباري: فهي قوله صلى الله عليه وسلم: «وَأنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله».

والحب في الله من أصول الإيمان وأعلى درجاته. ففي " المسند (٢٢١٣٠)" عن معاذ بن أنس الجهني: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الإيمان؟ فقال: أن تحب لله، وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله».

وفيه أيضًا (١٥٥٤٩) عن عمرو بن الجموح، عن النبي- صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله. فإذا أحب لله، وأبغض لله؛ فقد استحق الولاية من الله». (وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد، وعبد الله بن الوليد، ولانقطاعه)

وفيه (١٨٥٢٤): عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله».

وخرج الإمام أحمد (٢١٣٠٣)، وأبو داود (٤٥٩٩) عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله».

ومن حديث أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من أحب لله،

وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان». أخرجه أبو داود (٤٦٨١)؛ وأخرجه الترمذي (٢٥٢١)، وهو في مسند أحمد (١٥٦١٧) و (١٥٦٣٨)، عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن أنس الجهني، وزادا: «وأنكح لله».

وإنما كانت هذه الخصلة تالية لما قبلها؛ لأن من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقد صار حبّه كله لله، ويلزم من ذلك أن يكون بُغضه لله، وموالاته له ومعاداته له، وألا تبقى له بقية من نفسه وهواه.

وذلك يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص.

ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحب والبغض؛ فمن أحبّه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه الله أهانه بالعدل.

ولهذا وصف الله المحبين له بأنهم: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (المائدة: ٥٤)

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يبلغني إلى حبك». (أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب. قال ابن رجب في فتح الباري: وفيه: عبد الله بن ربيعة الدمشقي مجهول).

فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم، وبغض أعدائه ومعاداتهم.

وسئل بعض العلماء: بِمَ تُنال المحبة؟

قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، وأصله الموافقة. (فتح الباري٢/٥٦)

ومن أحب الله عز وجل، وأحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وأحب المؤمنين في الله ووالاهم، وأبغض الكافرين والجاحدين وعاداهم؛ استحق ثواب الله فإن الله عز وجل لا يعذب من يُحب.

قال بعضهم: المُحب لا يعذب حبيبه؟

فقيل له: وما دليل ذلك؟

قال: قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (المائدة: ١٨).

قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦٩/٣): «وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه. فتلا الصوفي هذه الآية: «قُلْ فلم يُعذِّبُكُم بذُنُوبكُم». وهذا الذي قاله حسن. وله شاهد في المسند للإمام أحمد حيث قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يُوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني! وسعت فأخذته. فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال: فخفضهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لا والله ما يلقي حبيبه في النار" تفرد به.

الخصلة الثالثة:

قال ابن رجب في فتح الباري له: قوله صلى الله عليه وسلم: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»؛ فإن علامة محبة الله ورسوله: محبة ما يحبه الله ورسوله، وكراهة ما يكرهه الله ورسوله كما سبق.

فإذا رسخ الإيمان في القلب، وتحقق به، ووجد حلاوته وطعمه؛ أحبه، وأحب ثباته ودوامه، والزيادة منه، وكره مفارقته، وكان كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهة الإلقاء في النار.

قال الله تعالى: «وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (الحجرات: ٧، ٨).

والمؤمن يحب الإيمان أشد من حب الماء البارد في شدة الحر

للظمآن، ويكره الخروج منه أشد من كراهة التحريق بالنيران. كما في "المسند (١٦١٩٤)" عن أبي رزين العقيلي أنه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحرق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله. فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الايمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ». (واسناده ضعيف لانقطاعه).

وفي " المسند (٢٢٠٧٥) " أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصى معاذ بن جبل فقال له فيما وصاه به: «لا تشرك بالله شيئًا، وإن قطعت وحرقت» (ورجاله ثقات لكنه منقطع)، وقد أخبر الله عن أصحاب الأخدود بما أخبر به، وقد كانوا فتنوا المؤمنين والمؤمنات وحرقوهم بالنار ليرتدوا عن الإيمان، فاختاروا الإيمان على النار.

وفي "صحيح مسلم (٣٠٠٥)" "عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة منهم أتي بها ومعها صبي لها يرضع، فكأنها تقاعست أن تُلقي نفسها في النار من أجل الصبي، فقال لها الصبي: يا أمه، اصبري؛ فإنك على الحق".

وألقي أبو مسلم الخولاني في النار على امتناعه أن يشهد للأسود العنسي بالنبوة فصارت عليه بردًا وسلامًا.

وعرض على عبد الله بن حذافة أن يتنصر فأبى، فأمر ملك الروم بإلقائه في قدر عظيمة مملوءة ماء تغلي عليه، فبكى، وقال: لم أبك جزعًا من الموت، ولكن أبكي أنه ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، لوددت أنه كان لي مكان كل شعرة مني نفسًا يُفعل بها ذلك في الله عز وجل.

هذا مع أن التقية في ذلك باللسان جائزة مع طمأنينة القلب بالايمان كما قال تعالى: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» (النحل: ١٠٦)، ولكن الأفضل الصبر وعدم التقية في ذلك.

فإذا وجد القلب حلاوة الإيمان أحس بمرارة الكفر والفسوق والعصيان، ولهذا قال يوسف عليه السلام: «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» (يوسف: ٣٣)

قيل لبعض الصالحين: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرَّ عندك من الصبر.

وقال بعضهم: ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغضه حبيبك.

واعلم أن القدر الواجب من كراهة الكفر والفسوق والعصيان هو أن ينفر من ذلك، ويتباعد منه جهده، ويعزم على ألا يلابس شيئًا منه جهده؛ لعلمه بسخط الله له وغضبه على أهله.

فأما ميل الطبع إلى ما يميل من ذلك، خصوصًا لمن اعتاده، ثم تاب منه فلا يؤاخذ بهذا الميل إذا لم يقدر على إزالته.

ولهذا مدح الله من نهى النفس عن الهوى، وذلك يدل على أن الهوى يميل إلى ما هو ممنوع منه، وأن من عصى هواه كان محمودًا عند الله عز وجل.

وسئل عمر عن قوم يشتهون المعاصي ولا يعملون بها؟

فقال: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم.

وقد ترتاض النفس بعد ذلك وتألف التقوى حتى تتبدل طبيعتها وتكره ما كانت مائلة إليه، ويصير التقوى لها طبيعة ثابتة.

وفقنا الله وإياكم لمحبته ومحبة من يحب وما يحب، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

وزارة التضامن الإجتماعي
جمعية أنصار السنة المحمدية
المركز العام
المشهرة برقم ٦١ لسنة ١٩٧٢م

٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
✆ ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
فاكس: ٢٣٩٥٧٣٠٢
www.ansaralsooa.com

دعــوة

تتشرف جمعية أنصار السنة المحمدية المركز العام

بناء على قرار مجلس الإدارة بالجلسة رقم (١١) بتاريخ ٩ ١٢ /٢٠٢٣م

بدعوتكم لحضور الجمعية العمومية غير العادية

وذلك يوم السبت الموافق : ٦ يناير ٢٠٢٤م الساعة الثانية عشر ظهرًا بمقر الجمعية الكائن: ٨ ش قوله - عابدين - القاهرة، وفى حالة عدم حضور الأغلبية المطلقة للأعضاء، تؤجل الجلسة لمدة ساعة طبقاً للمادة (٢٩) من لائحة النظام الأساسي للجمعية، وذلك لمناقشة جدول الأعمال التالي:-

١. النظر فى إضافة بند (الإغاثة الإنسانية) للائحة الجمعية.
٢. النظر فى تعديل البند (٣٤) الخاص بعدد أعضاء مجلس الإدارة.
٣. النظر فى اعتماد اللائحة الداخلية للجمعية.
٤. النظر فى بيع السيارتين المملوكتين للجمعية.

وتتشرف باستقبال مندوبي الفروع بموجب خطاب تفويض لعدد اثنين من كل فرع، على أن يكون الفرع قد وفق أوضاعه.

ويطيب لنا دعوة الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم لاستلام جوائزهم.

وبالله التوفيق.

الأمين العام
ا/ محمد مصطفى درويش

الرئيس العام
ا/ أحمد يوسف عبد المجيد

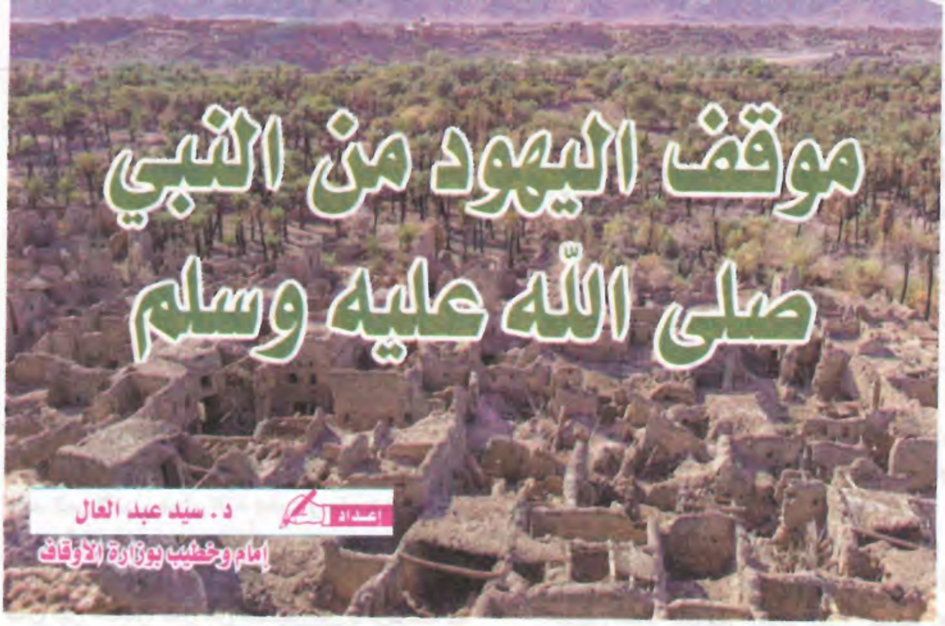

موقف اليهود من النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد **د. سيد عبد العال**

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد مر معنا مقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكعادة اليهود يعيشون دور الضحية، وادعاء المظلومية قديمًا، وحديثًا مع أنهم هم المعتدون الظالمون، وما صدر في حقهم ما هو إلا عقوبة، ورد على اعتدائهم، ومصداق ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ لكَعْبِ بْنِ الأشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ".

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا إلا أن ناسًا من بني جلدتنا، ويصلون لقبلتنا ما زاولوا يدافعون عن ذاك اليهودي، وعن جميع اليهود، ويتعاطفون معهم، ويصفون قتل كعب، بالاعتداء، والاغتيال غير المبرر؛ ولا شك أن الأذى الصادر لم يكن قاصرًا على كعب بن الأشرف وإنما سبقه به إليه أناس، وتبعه عليه آخرون منهم في كل عصر ومصر حتى اشتد أذاهم بعباد الله؛ قتلًا وتشريدًا في عصرنا هذا؛ فمن لبني صهيون؛ فإنهم قد آذوا عباد الله، وأتباع رسوله صلى الله عليه وسلم؟ ولكي تتضح الصورة لمن يعترض على هذا الموقف الصارم تجاه اليهود تعالوا بنا في رحلة إلى المدينة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورحلتنا هذه المرة نخصصها للتنقيب عن آثار اليهود، وموقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وحينئذ يظهر للمنصف: أنهم لا يستحقون الوقوف في صف الضحية، والمظلوم لا قديمًا ولا حديثًا.

إطلالة من بعيد:

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة؛ بادر عالم اليهود وحبرهم: عبد الله بن سَلام؛ فأسلم، وأبى عامتهم إلا الكفر؛ فوادع مَن بالمدينة من اليهود، وكتب بَيْنَهُمْ كتابًا، وكانوا ثلاث قبائل: قَيْنُقاع، والنَّضير، وقُرَيْظَة؛ فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة؛ فمَنَّ على بَني قَيْنُقاع، وأَجْلى بَني النَّضير، واسْتأْصل بَني قُرَيْظَة، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة. مختصر سيرة الرسول (١٣٩).

مُجاهَرة اليَهود بالعداء وبَعض أَخبارهم:

لقد نَصَبَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ لرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ ولأَصْحَابه العَداوة، بَغْيًا وَحَسَدًا وَضِغْنًا. سيرة ابن هشام (٥١٣/١).

هذا مع أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يستنصرون به على أهل الأوثان، بل كانوا يترقبون مبعثه؛ كما قال تعالى: «وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ» (البقرة: ٨٩)؛ فقَوْلُه: «وَكَانُوا مِنْ

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» أَيْ: وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ هَذَا الرَّسُولِ بِهَذَا الكِتَابِ يَسْتَنْصِرُونَ بِمَجِيئِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا قَاتَلُوهُمْ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيُبْعَثُ نَبِيٌّ في آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ «فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ» (البقرة: ٨٩). (تفسير ابن كثير١ /٣٢٥).

واليك موقف رؤساء اليهود الذين يعرفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم

ولا شك أن موقف العامة تابع لموقف قادتهم وقد لمس النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فقال " لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ، لَآمَنَ بِي اليَهُودُ" البخاري (٣٩٤١)

قال ابن حجر: كَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ في الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَبُو يَاسِرِ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَخُوهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَمِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَيْفٍ، وَفِنْحَاصُ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَمِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطِيَا، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَثْبُتْ إِسْلَامُ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ رَئِيسًا في الْيَهُودِ، وَلَوْ أَسْلَمَ لَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ؛ فَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونُوا الْمُرَادَ. فتح الباري (٧/٢٧٥).

ورأس الايذاء وكبره تكذيبه صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن كل إيذاء تابع للتكذيب والكفر الذي قابلوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَلَةَ-أَوْ وَهْبُ بْنُ زَيْدٍ-: يَا مُحَمَّدُ، ائْتِنَا بِكِتَابٍ تُنَزِّلُهُ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرَؤُهُ، وَفَجِّرْ لَنَا أَنْهَارًا نَتَّبِعْكَ وَنُصَدِّقْكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: «أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ»(البقرة:١٠٨): وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ مَنْ سَأَلَ الرَّسُولَ-صلى الله عليه وسلم- عَنْ شَيْءٍ، عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالِاقْتِرَاحِ، كَمَا سَأَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَعَنُّتًا وَتَكْذِيبًا وَعِنَادًا. تفسير ابن كثير (١/٣٨١).

كتمان الحق عند اليهود

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم- دَعَا يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ» آل عمران آية (١٨٧-١٨٨)- والحديث أخرجه البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨).

قَالَ الحافظ ابنُ كَثير في تَفْسِير هَذِهِ الآيَةِ: هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَهْدِيدٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ-صلى الله عليه وسلم-، وَأَنْ يُنَوِّهُوا بِذِكْرِهِ في النَّاسِ؛ لِيَكُونُوا عَلَى أُهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَابَعُوهُ، فَكَتَمُوا ذَلِكَ، وَتَعَوَّضُوا عَمَّا وُعِدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالدُّونِ الطَّفِيفِ، وَالْحَظِّ الدُّنْيَوِيِّ السَّخِيفِ، فَبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهُمْ، وَبِئْسَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ.

وفي هَذَا تَحْذِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، وَيُسْلَكَ بِهِمْ مَسْلَكُهُمْ، فَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَقَدْ وَرَدَ في الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ". مسند أحمد (٧٥٧١) وإسناده صحيح، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/١٨٠).

فإذا كان هذا موقف اليهود أمام النبي صلى الله عليهم وسلم وهم يعلمون: أنه يوحى إليه؛ فكيف بهم أمام غيره، ومتى ينتظر منهم الاعتراف بحق المسلمين، أو بخطئهم في الاعتداء عليهم؟

سب الله على لسان علمائهم

عَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِفِنْحَاصٍ-وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَأَحْبَارِهِمْ-: إِتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-

رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، جَاءَكُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ؛ فَقَالَ فِنْحَاصُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، وَاللَّهِ مَا بِنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَيَفْتَقِرُ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا لَمَا اسْتَقْرَضَنَا أَمْوَالَنَا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَنِ الرِّبَا وَيُعْطِينَاهُ! وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا؛ فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَضَرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصَ، فَأَخْبَرَ فِنْحَاصُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: " مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ " فَأَخْبَرَهُ، فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنْحَاصُ وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ». سورة آل عمران آية (١٨١).

وَأَنْزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا بَلَغَهُ مِنْ ذَلِكَ الغَضَبِ: « وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (آل عمران: ١٨٦) وَقَالَ فِيمَا قَالَ فِنْحَاصُ، وَأَحْبَارٌ مِنَ اليَهُودِ مَعَهُ: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ» (آل عمران: ١٨٧) إلى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «عَذَابٌ أَلِيمٌ » (آل عمران: ١٨٨)، يَعْنِي فِنْحَاصَ، وَأَشْيَعَ وَأَشْبَاهَهُمَا مِنَ الأَحْبَارِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُونَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا زَيَّنُوا لِلنَّاسِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، وَلِيَقُولَ النَّاسُ: لَهُمْ عِلْمٌ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ، لَمْ يَحْمِلُوهُمْ عَلَى هُدًى وَلَا عَلَى خَيْرٍ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: قَدْ فَعَلُوا، وَلَمْ يَفْعَلُوا" أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٣٠) وإسناده حسن- وأوردها الحافظ في الفتح (٩٩/٩) وحسّن إسنادها.

فتأملوا سبّ الله تعالى، وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان هذا العالم اليهودي، ثم تأملوا غيرةَ الصديق رضي الله عنه، والردَّ المباشر، ثم غياب الشجاعة عن هذا اليهودي، وحلول المسكنة عندما يشكوا فنحاص، ثم لون آخر من الكفر بعلم الله الغيب عندما ينكر ما قال؛ فيكذبه الله، ويصدق أبا بكر؛ فرضي الله عن أبي بكر، ولعن الله من سبه وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم، والعجب بعد ذلك من أناس يدعون محبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقولون فيمن يسب الله، ويكذب رسوله صلى الله عليه وسلم: "ليسوا كفارا بل هم إخواننا، وهم مؤمنون، ومن أهل الجنة"! يا قوم؛ أما لكم في أبي بكر أسوة؟

ومن مواقف اليهود العجيبة دخولهم في الإسلام ظاهريا ثم الخروج منه بقصد إضلال الناس:

حَثَّ جَمَاعَةٌ مِنَ اليَهُودِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غُدْوَةً وَنَكْفُرُ بِهِ عَشِيَّةً، حَتَّى نُلَبِّسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَصْنَعُونَ كَمَا نَصْنَعُ، وَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » سورة آل عمران آية (٧١- ٧٣)، والخبر في سيرة ابن هشام (١٦٦/٢).

وقصدهم بهذا التنقيص بهذا الدين، ولفت أنظار الآخرين إلى النقص، والعيب الذي تزعمه اليهود في هذا الدين، والله حَسيبُهم «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (الشعراء: ٢٢٧).

ولنا عودة إلى بيان موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم في العدد القادم إن شاء الله، وإنما قصدنا بذلك أن نُذكِّرَ إخواننا بأن موقف اليهود من البداية موقف عداء مع نبي أرسله الله رحمة للعالمين؛ فهم من أول الطريق يعادون الرحمة التي أرسلت للناس كافة، ولا شك أن جهادهم جهادٌ لإيصال الرحمة للعالمين، ليصل النور لمن يرتاد هذا الطريق.

والحمد لله رب العالمين.

ماذا تعرف عن اليهود؟

إعداد الشيخ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه بعض الحقائق عن اليهود؛ لكي يكون المسلم على حذر منهم، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) اليهود أكثر الناس تطاولاً على الله تعالى:

قال سُبحانه: (لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) (آل عمران:١٨١).

قال تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ) (المائدة:٦٤).

قال جَلَّ شأنه: (قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ) (المائدة: ٢٤:٢٥).

(٢) اليهود أكثر الناس كذباً على الله تعالى:

قال جَلَّ شأنه: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٨).

قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): يُخبِرُ تَعَالَى عَنِ اليَهُود، عَليهم لعَائنُ اللَّه، أَنَّ منْهُمْ فَريقًا يُحَرِّفون الكَلِمَ عَنْ مَواضعه ويُبَدِّلون كَلامَ اللَّه، وَيُزيلُونَهُ عَنِ المُراد به، ليُوهموا الجَهَلَةَ أَنَّهُ في كتَاب اللَّه كَذَلكَ، وَيَنْسُبُونَهُ إلَى اللَّه، وَهُوَ كَذبٌ عَلَى اللَّه، وَهُمْ يَعْلَمُون مِنْ أَنْفُسهمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا وَافْتَرَوْا في ذَلكَ كُلِّه؛ وَلهَذَا قَالَ: (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّه الكَذبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (تفسير ابن كثير ج٣صـ٩٧)

(٣) اليهود أكثر الناس تطاولاً على الملائكة:

عَن ابْنِ عَبَّاس قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسم إنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَة أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائيلُ عَلَى بَنيه، إِذْ قَالُوا: اللَّه عَلَى مَا نَقُولُ وَكيلٌ، قَالَ: هَاتُوا. (وذَكَرَ منها) قَالُوا: لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيه بالخَبَر، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالحَرْبِ وَالقِتَالِ وَالعَذَاب

عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: ميكائيل الَّذي يَنْزِلُ بالرَّحْمَة وَالنَّبات وَالقَطْر، لَكان فَأنْزل اللَّه عَزَّ وَجلَّ: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجبْريل) إلى آخر الآيَة. (حديث حسن) (مسند أحمد ج:٤ ص:٢٨٥ حديث: ٢٤٨٣).

(٤) اليهود أهل غدر وخيانة:

قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً) (المائدة:١٣)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): أي: فَبِسَبَب نَقْضهمُ الميثاقَ الَّذي أَخَذَ عَلَيْهِمْ لَعَنَّاهُمْ، أَيْ أَبْعَدْنَاهُمْ عَنِ الحقِّ وَطَرَدْنَاهُمْ عَنِ الهُدَى فَلا يَتَّعظون بِمَوْعظَة لغلظها وَقَسَاوَتِهَا. (تفسير ابن كثيرج٥ صـ١٣٤).
وقال سُبحانه: (أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة:١٠٠).

(٥) اليهود أصل الفساد في الأرض:

قال تعالى: (كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) (المائدة:٦٤)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): أيْ: كلَّمَا عَقَدُوا أَسْبَابًا يَكيدُونَكَ بِهَا، وَكُلَّمَا أَبْرَمُوا أُمُورًا يُحَارِبُونَكَ بِهَا يُبْطِلُهَا اللَّه وَيَرُدُّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَحيقُ مَكْرُهُمُ السَّيِّئُ بِهِمْ. وَمِنْ سَجِيَّتِهِمْ (طبيعتهم) أَنَّهُمْ دَائمًا يَسْعَوْنَ في الإفْسَاد في الأرْض، وَاللَّه لا يُحِبُّ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ. (تفسير ابن كثير ج٥صـ٢٨١).

(٦) اليهود يعرفون الحق وينكرونه:

قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّه مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ) (البقرة:٨٩).

(٧) اليهود أكثر الناس جبناً:

قال سُبحانه: (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ في قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) (الحشر:١٤)، قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): يَعْني: أَنَّهُمْ مِنْ جُبنهم وهلعهم لا يَقْدِرُونَ عَلَى مُوَاجَهَةِ جَيْشِ الإسْلام بالمُبَارَزَة وَالمُقَابَلَة بَلْ إِمَّا في حُصُونٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ مُحَاصَرِينَ، فَيُقَاتِلُونَ للدفع عنهم ضرورة. (تفسير ابن كثير ج١٣ ص٤٩٦).

(٨) اليهود أكثر الناس حرصاً على الحياة:

قال سُبحانه: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة:٩٦).

(٩) قلوب اليهود متنافرة فيما بينهم:

قال سُبحانه: (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَديدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) (الحشر:١٤)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): أيْ: عَدَاوَتُهُمْ فيمَا بَيْنَهُمْ شَديدَةٌ. وتَرَاهُمْ مُجْتَمعينَ فَتَحْسَبُهُمْ مُؤْتَلفينَ، وَهُمْ مُخْتَلفُونَ غَايَةَ الاخْتلاف. (تفسير ابن كثير ج١٣صـ٤٩٦)
وقال تعالى: (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) (المائدة:٦٤)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): لا تَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ، بَل العَدَاوَةُ وَاقعَةٌ بَيْنَ فرقهم بَعْضهمْ في بَعْض دَائمًا لأَنَّهُمْ لا يَجْتَمِعُونَ عَلَى حَقٍّ. (تفسير ابن كثير ج٥صـ٢٨١)

(١٠) اليهود قوم ضرب الله عليهم الذلة إلى يوم القيامة:

قال جَلَّ شأنه: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ) (البقرة:٦١).

قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): أيْ: وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ وَأُلْزِمُوا بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا، أَيْ: لا يَزَالُونَ مُسْتَذَلِّينَ، مَنْ وَجَدَهُمُ اسْتَذَلَّهُمْ وَأَهَانَهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الصَّغَارَ، وَهُمْ مَعَ ذَلكَ في أَنْفُسِهِمْ أَذلاَّءُ مُتَمَسْكِنُونَ. (تفسير ابن كثير ج١صـ:٤٢٨)

(١١) اليهود أكثر الناس حسداً:

قال جَلَّ شأنه: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا

حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة:١٠٩).

وقال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّه منْ فَضْله فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظيمًا) (النساء:٥٤).

عن عَائشَة، عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَا حَسَدَتْكُمْ اليَهُودُ عَلى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلام وَالتَّأْمينَ" (حديث صحيح: صحيح ابن ماجه للألباني حديث:٦٩٧).

(١٢) اليهود لا يردعهم إلا القوة:

قال تعالي: (وَإِذْ أَخَذْنَا ميثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بقُوَّة وَاذْكُرُوا مَا فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:٦٣)، وقال سُبحانه: (وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأعْرَاف: ١٧١).

قَالَ الإمَامُ القرطبي (رحمه الله): سَبَبُ رَفْعِ الطُّورِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ لَمَّا جَاءَ بَنِي إسْرَائيل منْ عنْد الله بالأَلْوَاح فيهَا التَّوْرَاة قَالَ لَهُمْ: خُذُوهَا والتَزمُوهَا. فَقَالُوا: لا! إلا أَنْ يُكَلمَنَا الله بهَا كمَا كَلَّمك. فصُعقُوا ثمَّ أُحْيُوا. فقَال لَهُمْ: خُذُوهَا. فقَالُوا لا. فَأمَرَ اللَّه المَلائكَة فَاقْتَلَعَتْ جبَلاً من جبال فلسطين طوله فرْسَخ في مثْله، وكذلك كان عسْكرُهمْ، فَجُعلَ عَلَيْهمْ مثْلَ الظُّلَّة، وأُتُوا ببحْرٍ منْ خلْفهمْ، ونار منْ قبل وُجُوههمْ، وقيل لَهُمْ: خُذُوهَا وعلَيْكُمُ الميثَاقُ ألاَّ تُضَيِّعُوهَا، وإلاَّ سَقَطَ عَلَيْكُمُ الجبَلُ. فَسجَدُوا تَوْبَةَ لله وَأخَذُوا التَّوْرَاةَ بالميثَاق. (تفسير القرطبي ج١ ص:٤٤٠).

(١٣) اليهود أكثر الناس بخلا وجشعا:

قال الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ نَصيبٌ من المُلْك فإذَا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقيرًا) (النساء:٥٣)؛ قال الإمامُ ابن كثير (رحمه الله): أيْ: لَيْسَ لَهُمْ نَصيبٌ منَ المُلْك. ثُمَّ وَصَفَهُمْ بالبُخْل فَقَالَ: (فَإذَا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقيرًا) أيْ: لأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لَهُمْ نَصيبٌ في المُلْك وَالتَّصَرُّف لَمَا أعْطَوْا أَحَدًا منَ النَّاس، وَلا سيَّمَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، شَيْئًا، وَلا مَا يَمْلأُ النَّقيرَ، وَهُوَ النُّقْطَةُ الَّتي في النَّوَاة. في قَوْل ابْن عَبَّاس وَالأَكْثَرينَ. (تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٩).

قال سُبحانه: (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) (المائدة:٦٢).

(١٤) اليهود قتلة الأنبياء:

قال جلَّ شأنه: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ) (البقرة:٦١).

(١٥) اليهود يتحايلون لتحليل المحرمات:

قال تعالى: (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ) (الأعراف:١٦٣:١٦٦).

قَالَ الإمَامُ ابنُ كثير(رحمه الله): هَؤُلاء قَوْمٌ احْتَالُوا عَلَى انْتهَاك مَحَارم الله، بمَا تَعَاطَوْا منَ الأَسْبَاب الظَّاهرَة الَّتي مَعْنَاهَا في البَاطن تَعَاطي الحرام. (تفسير ابن كثير ج٦ صـ٤٢٣).

(١٦) اليهود يستحلون الحرام:

قال سُبحانه: (فَبظُلْمٍ منَ الَّذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهمْ طَيِّبَات أُحلَّتْ لَهُمْ وَبصَدّهمْ عَنْ سَبيل اللَّه كَثيرًا × وَأَخْذهمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلهمْ أَمْوَالَ النَّاس بالبَاطل وَأَعْتَدْنَا للْكَافرينَ منْهُمْ عَذَابًا أَليمًا) (النساء:١٦٠:١٦١).

(١٧) اليهود أهل جدال عقيم:

قال سُبحانه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟

ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ) (البقرة:٦٧:٦٩).

روى ابنُ جريرِ الطبري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَوْ أَخَذُوا أَدْنَى بَقَرَةٍ اكْتَفَوا بِهَا لَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ» (تفسير الطبري ج٢ص٢٠٤).

(١٨) قلوب اليهود أشد قسوة من الحجارة:

قال جلَّ شأنه: (فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ) (المائدة:١٣)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): قَوْلُهُ تَعَالَى (فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهُمْ) أَيْ: فَبِسَبَبِ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ لَعَنَّاهُمْ، أَيْ أَبْعَدْنَاهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَطَرَدْنَاهُمْ عَنِ الْهُدَى، (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)؛ أَيْ: فَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ لِغِلَظِهَا وَقَسَاوَتِهَا. (تفسير ابن كثير ج٥ص: ١٣٤).

(١٩) لم يؤمن أحد من علماء اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في زمانه إلا واحداً فقط.

عُلماءُ اليهود من أكثر الناس كُفراً وعناداً، في كل مكانٍ وزمانٍ، ودليلُ ذلك أنه لم يُؤمن أحدٌ منهم ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم عند ظهوره وهجرته إلى المدينة إلا وحداً فقط وهو عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، على الرغم من أنهم يعلمون يقيناً من كتبهم الموجودة بين أيديهم، صفةَ النبي صلى الله عليه وسلم وزمانِ ومكان ظهوره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَآمَنَ بِي الْيَهُودُ» (البخاري حديث: ٣٩٤١).

(٢٠) الله تعالى مسخ بعض اليهود فجعلهم قردة وخنازير:

قال سُبحانه: (وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ) (البقرة:٦٥).

قال الإمامُ الطبري (رحمه الله): مَسَخَهُمُ اللهُ قردةً بِمعصيتهم، ولَمْ يَحْيَوْا في الأرض إلاّ ثلاثة أيام، ولَمْ تأكل، ولَمْ تشرب، ولَمْ تَنسل. (تفسير الطبري ج٢ص١٦٨).

(٢١) اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين:

قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ) (المائدة:٨٢)؛

قال ابن كثير: مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ كُفْرَ الْيَهُودِ عِنَادُ وَجُحُودُ وَمُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ، وَغَمْطٌ لِلنَّاسِ وتنقص بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ. وَلِهَذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرَ مَرَّةٍ وَسَحَرُوهُ، وَأَلَّبُوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (تفسير ابن كثير ج٥ص: ٣١١).

(٢٢) اليهود يفضلون الشرك على التوحيد:

قال سُبحانه: (وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ) (الأعراف: ١٣٨: ١٤٠)

(٢٣) اليهود أكثر الناس صداً عن سبيل الله:

قال سُبحانه: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) (النساء:١٦٠)؛

قال ابنُ كثير: أَيْ: صَدُّوا النَّاسَ وَصَدُّوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَهَذِهِ سَجِيَّةٌ لَهُمْ مُتَّصِفُونَ بِهَا مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ؛ وَلِهَذَا كَانُوا أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَذَّبُوا عِيسَى وَمُحَمَّدًا، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا. (تفسير ابن كثير ج٤. ص:٣٦٨).

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

التغريبة العربية.. وعقود من الشتات

إعداد أ. محمد محمود فتحي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلي الله عليه وسلم، أما بعد.

فلاشك أن المرحلة التي نحياها اليوم هى نقطة الانعطاف بين أمس الأقطار العربية وغدها، بين الوجد إلى الجديد والصراع مع رواسب القديم، والجيل العربي الذي يحيا اليوم معركة الانفصال عن ركود ألفه سنوات طوال والذي يتجه شطر مستقبل لم تستبن سائر معالمه بعد، جيل يلقي من آلام المخاض ما يلقى ويعاني من التأزم ما يعاني، وتلك الآلام إن وعيناها جيدًا نجد أنها خصيبة محملة بالعطاء، ولابد أن نرتفع فوق الألم لنخلق منه الأمل.

من هنا كان واجبنا جميعًا أن نقف في وجه هذا الصراع -الذي طال الدين والهوية- يقظين حذرين نسدد الخطا ونبين لجيل الصراع حقيقة وجوده وواجب هذا الوجود، إن عالمنا الإسلامي الذي يعيش في قلب المعركة قلما يستطيع أن يتبين جميع أوجهها، لقد ألقي بنفسه في يمّ السكون والسبات معرضًا نفسه للانزلاق بحكم انغماسه في اليم وانجرافه في تياره.

لقد مر على العرب عهود من الانحطاط والركود كدنا ننسى فيه حضارتنا وأصالتنا وائتمرت على المجتمع العربي جملة من القوى أرادت أن تفقده معالمه وأن تطمس كيانه القوي طمسًا كاملا ، وتألب الغرب عليه محاولًا أن يقطع صلته بتراثه وأن يمحو خصائصه.

ولا نبالغ إن قلنا إن السنوات الطويلة التي أقام فيها الغرباء في بلادنا، يعملون فيها تهديمًا وتخريبًا قد أورثنا إنكسارًا وتخاذلًا وزرع في نبضنا العربي بذورًا فاسده وجراثيم فتاكه، ولابد لنا أن نجمع هذه البذور ونجتث أصولها شيئًا بعد شئ، لتستفيق الأمة وتعود إلى رشدها.

لقد عانى العرب من أزمنة الغربة المتعاقبة، وضرب التغريب جذوره المتشعبه في أوصال الأمة الإسلامية ، حتى خارت إلى رؤوسها في الرمال، وأصبحت لا تملك من أمر نفسها إلا أن تحرك عيونها في محاجرها يمنة ويسرة، مبصرة لعالم غامض لم تعد تنتمي إليه، بعد أن كان لها السبق في ميدان الحضارة لقرون عدة من زمننا الأرضي، ولعل الإبحار في أزمنة الغربة له شجون ويصيب القلب بغُصة تبعث على الرتابة والكآبة، ولابد من ذلك لنلتمس العبر لعلّنا في لاحق الأيام ندرك أسباب التغريب وكيفية الفكاك منه، ولعل مجدنا التليد يورق من جديد لجيل قد وعي أسباب

الانحدار ومن أين يكون البدء وكيفية المسير.

التغريبة العباسية

إن من الخطأ أن نأخذ ما يحدث في العالم الإسلامي ونفصله عن مجرى تاريخنا الحديث كله ومجرى عصر الانحطاط الذي كابدته الأمة العربية، وننظر إلى الحدث وكأنه حجر ساقط علينا من السماء وليس خارجًا ومنبثقًا من مجرى واقع التخلف الذى عشناه ونعيشه، والذي ورثناه من عصر انحطاط طويل يبلغ عمره عدة قرون منذ توقف الإبداع الحضاري بنهاية القرن الرابع الهجري وتعرض المنطقة العربية للموجات الغربية الكاسحة التي أخذت تجتاحها منذ سيطرة الترك على الخلافة في عهد الخليفة المعتصم والذي أحاط نفسه بالحرس التركي، والذي كان قوامه أربعة آلاف رجل، غير أنه استقدم المزيد من قبائلهم عامًا بعد عام، ولما بويع ابنه الواثق بالله، استمر في سياسة والده القائمة على استيراد القبائل التركية، وجعلهم قوام الجيش فعليًا، ولم يستطع العباسيون الحفاظ على وحدة الدولة كما فعل أسلافهم الأمويون؛ فاستقلَ عبد الرحمن الداخل بالأندلس منذ قيام الدولة، وفي خلافة الهادي استطاع إدريس ابن عبد الله بن الحسن الفرار إلى المغرب حيث أسس الدولة الإدريسية المستقلة. كذلك ظهرت الدولة البويهية في بلاد فارس وخراسان، كما استقلت تونس والجزائر وليبيا نهائيًا مع ظهور الدولة الفاطمية، التي قضت على حكم الدولة الأغلبية، وفي خلافة المعتز بالله قامت الدولة الطولونية في مصر وبعدها الدولة الإخشيدية . هذا التشعب لدول الإسلام ساهم في انحسار قوة الخلافة العباسية واضحت بغداد حاضرة الدنيا ودرة العباسيين على بعد خطوات من الإبادة.

ولاح للعباسيين ذلك الأفق الملبد بالغيوم الكثيفة، الذي تشتعل في جنباته شرارات البرق الخاطف، ويقصف الرعد منذرًا بالخطر . لقد داهم التتار بلاد الإسلام وصار على مقربة من بغداد، وقسم هولاكو جيشه إلى قسمين، وضرب حصارًا حول بغداد بدءًا من يوم ٢٩ يناير سنة ١٢٥٨م، ودمر المغول السدود وقنوات الري، ثم قصف المقالع والمجانيق، مما سهل سقوط استحكامات العباسيين؛ الواحدة تلو الأخرى، حتى أحاط المغول بالمدينة من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم والإكليل للجبين، واقتحموا بغداد يوم ١٠ فبراير ١٢٥٨م/ ٤ صفر ٦٥٦هـ، مرتكبين مذابحَ بحق أبنائها، وبحسب بعض المؤرخين؛ بلغ عدد القتلى أكثر من مليون شخص، أما الخليفة فقتلهُ المغول بعد أن جُمع في سجّاد، وركلوه ركلاً بالأرجل حتى مات، وقيل خنقوه أو أغرقوه، لتزول بذلك الخلافة العباسية في بغداد.

كان سقوط الخلافة العباسية إيذانًا ببدء ظهور التغريبة العربية والتي سيمتد صداها إلى يوم الناس هذا، تغريبةٍ تعقبها آخري في سلسلة متصلة الحلقات ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

التغريبة الأيوبية

كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي يرى بنظره الثاقب وأفقه البعيد ، أن المواجهة الناجحة للصليبيين لا تتم إلا بتضامن المسلمين ووحدتهم، ولقد أثر عنه مقولة أمور الحرب لا تحتمل في التدبير إلا الوحدة، ومن أجل ذلك سار على خُطا سلفيه عماد الدين زنكي ونور الدين محمود في تحقيق هذا الهدف. كان صلاح الدين يلتمس أن تتضافر جهود المسلمين في المشرق والمغرب للقضاء على الخطر الصليبي المحدق، وبعث لهذه الغاية برسالة إلى الخليفة العباسي يشرح له الوضع الخطير حول ثغر عكا وتدفق المدد الصليبي عليها ويدعوه إلى إرسال العون والمدد، ويحدثنا أبو شامه عن تلك الحقبة بقوله:(وقد تعاضدت ملوك الكفر على أن ينهضوا إلى المسلمين من كل فرقة طائفة ، ويرسلوا اليها من كل سلاح شوكة، فإذا قتل المسلمون واحدًا في البر بعثوا ألفًا عوضه في البحر، وأصحابنا قد أثرت فيهم المدة الطويلة والكلف الثقيلة لا طاعتهم، وفي أحوالهم لا شجاعتهم، وكل من يعرفهم يناشد الله فيهم المناشدة النبوية: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض.

ويخلص الدعاء ويرجو من سيدنا أمير المؤمنين الإجابة)(الروضتين في أخبار الدولتين)، لكن الخليفة لم يمدده بمال ولا رجال، واكتفى بالدعوات والتمنيات، فبادر صلاح الدين إلى الاستنجاد بسلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن(الملقب بالمنصور)، علَ قوى المشرق والمغرب تتعاضد في صد الخطر الصليبي على الإسلام، وكتب إليه يستنهضه ويقول:(فإن كانت الأساطيل في الجانب الغربي ميسرة، والعدة فيها متوفرة، والرجال في اللقاء فارهة، وللقاء غير كارهة، فالبدار البدار، وإن كانت دون الأساطيل موانع، فالمعونة ما طريقها واحدة، تكون تارة بالرجال وتارة بالمال، وما رأينا أهلَا لخطابنا ولا كفوًا لانجادنا، ولا محفوفًا بدعوتنا، ولا ملبيًا لنصرتنا، إلا ذلك الجناب، فقد كانت تتوقع منه همة توقد في الغرب نارها، ويستطير في الشرق سناها، وتغرس في العدوة الأقصى(الأندلس) شجرتها، فينال من في العدوة الدنيا جناها، فلا ترضى همته أن يعين الكفر الكفر، ولا يعين الإسلام الإسلام) (صبح الأعشى).

لكن الأمل في هذا السلطان خاب فلم يهَب إلى نصرة أو نجدة أو إرسال عون، ويعلل بعض المؤرخين ذلك لان صلاح الدين لم يخاطبه في رسالته بأمير المومنين على عادة أهل المغرب كما يقول ابن شامة، فتغلب المظهر على الجوهر، وللإنصاف يرى آخرون أن المنصور كان مشغولا بحروب صليبية في الأندلس مثلما يخوض غمارها صلاح الدين في مصر وسوريا.

وما لنا نلوم سلطان المغرب ولا نلوم سلاطين المشرق وأمراءه، الذين تقرحت أقدام رسل صلاح الدين من كثرة التردد عليهم واستنصارهم، فما لبَوا النداء، وآثروا التحصن والبقاء، لذلك يقول القاضي الفاضل في رسالة بعث بها إلى صلاح الدين(إن الله تعالى اطلع على قلوب أهل الأرض فلم يستخدم في إقامة دينه واعلاء كلمته إلا أنت، وفي الأرض من له المملكة وراثة، ومن له في المال كثرة، ومن له في العدد ثروة، فأقعدهم وأقامك، وهذا وليس لك من المسلمين كافة مساعدة إلا بدعوة، ولا مجاهد معك إلا بلسانه، ولا خارج معك إلا بهًم، تدعوهم إلى الله وكأنما تدعوهم إلى نفسك، وتسألهم الفريضة وكأنك تكلفهم النافلة، وتعرض عليهم الجنة وكأنك تريد أن تستأثر بها دونهم، والآراء تختلف بحضرتك والمشورات تتنوع بمجلسك، فقائل لما لا نتباعد عن المنزلة؟ وآخر لما لا نميل إلى المصالحة، ومتندم على فائت ما كان فيه حظ، ومشير بمستقبل ما يلوح فيه رشد، لكن الشدة تذهب ويبقى ذكرها، والأزمة تنفرج ويبقى أجرها).

التغريبة الأندلسية

الأندلس فردوسنا المفقود ودرتنا الغالية ومجدنا التليد، لقد كانت السراج المنير الذي أضاء لأوروبا دياجيها، حيث كانت في عليائها شامخة شموخ الجبال الرواسي، حضارة شهباء كان لها الأثر الواضح في تقدم القارة العجوز فيما بعد.

عاش أهل الأندلس أيام الولاة حياة متواضعة أقرب إلى البداوة، ثم أخذوا زمن بني أمية يعيشون حياة متحضرة، فقد عم بلادهم الرخاء ونهض العمران نهضة أذهلت الدنيا، وارتقوا بهندسة البناء رقيَا عجيبَا تشهد بذلك نقوش مسجد قرطبة وقصر الحمراء وقصر الزهراء، شهادة ينحني لها التاريخ مكبرًا ، لكن الغرب لم يكن راضيًا عن حضارة زيتها يضئ من المشرق، فسعي إلى تفكيكها إلى طوائف متناخرة وذلك عام ٤٢٢هـ، عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، ما شجع أمراء الأندلس ببناء دويلات منفصلة، وتأسيس أسر حاكمة من أهلهم وذويهم .

قام ملوك الطوائف بتقسيم الدولة إلى ٢٢ دويلة؛ منها: قرطبه وغرناطة واشبيلية، وألمرية، وبلنسية، وطليطلة وسرقسطة، لكن التناحر المستمر فيما بينها، كان السبب الرئيسي في جعلها فريسة لمسيحيي الشمال، ووصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس،

وكانـوا يستعينـون بـه علـى بعضهـم البعض، ورغم ذلك ظل عقد الأندلس الفريد متماسكًا قرابة الستة قرون تنتظم حباته وتتلألأ درره حتى انحلت رابطة العقد بسقوط قرطبة زهرة الأندلس سنة ٦٣٣هـ، والتي ظلت نحو خمسمائة وعشرين عامًا عاصمة لأسبانيا المسلمة، وكان سقوطها كارثة عظيمة ألمت بالمسلمين، ولم يبق بعد ذلك إلا درة واحدة بيد المسلمين مدينة غرناطة التي تولاها ابن الأحمر (محمد بن يوسف بن نصر)، والتي استطاعت الصمود لقرنين ونصف القرن في وجه التوسع الإفرنجي، وقد بلغت غرناطة في عهد بني الأحمر أزهى عصورها وفيها شيدت قصور الحمراء والتي لا تزال أطلالها إلى اليوم شاهدة بحضارة الأندلس، وقد ظلت غرناطه حجر عثرة في وجه الفرنجة، متمسكة بعرى الإسلام باعثة السفارات هنا وهناك تستنجد العالم الإسلامي المترامي الأطراف دون نصير ولا مغيث غير الوعود الزائفة والأماني التالفة، يقول أحد مؤرخي الأندلس الذي عاصر مأساة غرناطة: «إن إخواننا المسلمين من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم، فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرج على نصرتنا وإغاثتنا، وعدونا قد بنى علينا وسكن، وهو يزداد قوة، ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه من بلاده، ونحن لا مدد لنا»

وقد بعث أهل الأندلس بالعديد من السفارات إلى مختلف الأقطار الإسلامية، فكانوا يستغيثون بملوك المغرب ولا يجدون منهم آذانا صاغية، وارسلوا ايضا إلى الزيانيين ملوك الدولة الزيانية مستنجدين بهم حيث أستصرخ ملكها أبو عبد الله بأبي حمو الزياني، وبرسالة من إنشاء الوزير لسان الدين ابن الخطيب يذكر فيها أنهم: « لم يعانوا منذ أن فتحت الأندلس شدة، وضيقا أشد مما هم عليه الآن. وذكر بأن ملك النصارى جمع لهم جيوشا من سائر الأمم المسيحية، وأنهم قاموا بإحراق الزروع، والمسلمون ليس لهم مغيث يلجأون إليه (بعد الله) سوى إخوانهم في الدين، وفي أواخر القرن الخامس عشر، أرسل مسلمو غرناطة إلى الملك الأشرف قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦م) سلطان المماليك بمصر، يرجونه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك المسيحيين، فاكتفى الأشرف بإرسال وفود إلى البابا، وإلى ملوك أوروبا يندد ويهدد ويبرق ويرعد بكلمات جوفاء تخلو من القوة ولا تصنع تاريخًا للأمم وأمانًا للبشرية، إذ لابد أن تقترن الكلمات بأفعال الرجال حتى يعلوا صداها وتصل إلى مبتغاها، وكأن التاريخ دأب على أن يعيد نفسه بنمط ثابت ومكرر، فكانت تلك السفارات كالزبد الذي يذهب جفاءً، وكرر الأندلسيون استغاثتهم بالملك الأشرف قانصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٦م) وكان كسابقه ، وكذلك ارسلوا للسلطان المملوكي جان بلاط الذي خافه فرناندو فأرسل له سفارة تهدئه، ورد عليه السلطان برسالة تهدده، ثم نسي كل واحد منهما ما كان وانشغل بما هو فيه، وأرسل أهل غرناطة في منتصف سنة ١٤٧٧م(أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما) سفارة على إستانبول، وجهوا فيه نظر السلطان محمد الفاتح إلى تدهور أوضاع المسلمين في الأندلس، فلم يستجب لأنه كان مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي يضمر عداءً شديدًا للدولة العثمانية، ثم استنجد الأندلسيون بابنه بايزيد الثاني (١٤٨٠-١٥١١م)، إلا أن السلطان بايزيد كانت قد تزاحمت عليه أزمات منعته من إغاثة مسلمي الأندلس.

تُركت غرناطة وحدها حيث لا ملجأ من الله إلا إليه ، حتى غربت شمسها بمعاهدة قبيحة مع آخر ملوكها أبي عبد الله الصغير، انتهت بتسليم الدرة الأخيرة في العقد الأندلسي.

لاشك أن ما حدث للأندلس من سقوط، وما تبع ذلك من حملات للإبادة والتنصير، كان كارثة عظيمة ألمت بالمسلمين، ولم يحرك أحدٌ ساكنا على اتساع الرقعة الإسلامية في ذلك الزمن لأنهم غثاء كغثاء السيل كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :(يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟

قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) (رواه أحمد وأبو داود).

لقد داهم الأندلس الخصام وفاجأها الإنقسام، وتركها المسلمون لقمة سائغة للئام فذهبت كأمس الدابر، سُنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

تغريب الماضي واشراق المستقبل

كان لتلك التغريبات التي جنيناها على أنفسنا وساعد الغرب في إذكاء أوارها، السبب الرئيسي في انحدارنا إلى عصور مظلمة، لقد تخلفنا عن مركز القيادة للغرب الذي تسلط علينا في ليلنا الطويل بوطأة الاحتلال العسكري، وما صحبه من غزو فكري أعمل سيفه في تاريخنا بترًا وتشويهًا، ورسخ في أجيالنا المتعاقبة عقدة الشعور بالنقص تجاه الغرب، بما بثت في عقولهم ووجدانهم من بتر وتشويه لتراثنا الإسلامي، وألقت على كاهلهم أوزار تخلفنا وتبعات انحطاطنا، وسقوهم خمر العجز ونفثوا السم في شرايينهم، ولقد سرق الاستعمار الغاشم ألسنة بعض شعوبنا العربية لتعزلها عن لسان عروبتها وعزتها ولغة عقيدتها وتاريخها، ونالت أيضا من وحدتنا الثقافية والفكرية وأصبحنا مدارس متنافرة ينكر بعضها بعضًا، لا في كل الأقطار العربية فحسب، بل في البلد الواحد والبيت الواحد، كان ذلك مدعاة إلى تنافر موارد ثقافتنا وأنماط عقلياتنا فصرنا فيما بيننا غرباء، وبهذا الشتات المبعثر نواجه غزوًا ثقافيًا واقتصاديًا ومذهبيًا في كل مناحي دنيانا العربية المزرية، وصار العالم الإسلامي كالقطيع الشارد يستهويه الشتات وتكتنفه العزلة، ولا يساق إلا بعصا الغرب الغادر، وإذا أرادت واحدة أن تَعدل المسار كانوا لها بالمرصاد ترغيبًا تارة ووعيدًا وتعذيبًا تارات أخرى.

ويتبادر إلى الفهم خاطرة يتردد صداها عبر أجيال متباعدة: هل يكون ارتباطنا بالماضي واستنطاق حكمته تعبيرًا عن علة نفسية يخلقها العجز عن مواجهة الحاضر وتبعاته، أو اليأس من المستقبل واحتمالاته؟

وماذا لو خاصمنا الماضي ودعونا إلى الانقطاع عنه والحذر منه؟! ألسنا بذلك نقتل أمل المستقبل في الرشد؟ ونحارب السنن في اتصال الأزمنة وتقدم الحياة؟

لقد حمل الماضي على جناحيه أُمة أضاءت دياجير الظلام، وفي أيامه قامت للمسلمين حضارة ودولة وشريعة وثقافة، والمُستهجن أننا نتناسى أن الكون -بمادته وناسه- محكوم بسنن وقوانين يخضع لها الأقدمون والمحدثون والسلف والخلف، قال تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ » (النور: ٥٥).

نحن لا نُقلِّب صفحات التاريخ، ولا نتتبع التغريبات، ولا نستذكر المآثر والمآسي للبكاء والحسرة، بل لا بد أن نرفع رؤوسنا المنكفئة على الماضي لنتجه بأبصارنا إلى الحاضر والمستقبل.

إننا لا نريد إسدال الستار وتفريق الموكب وإعلان النهاية، بل لا بد من النهوض من سباتنا الضارب في القدم، ولا مجال للعزلة عن العالم الموحش بكل إنجازاته وآثامه وتكالبه علينا، ولا مجال للانطواء على النفس والالتفاف حول الذات، بل لا بد من الإفاقة الكاملة والوعي اللامحدود، ودراسة سِير الأمم التي نهضت بعد كبوة، دراسة متأنية للوقوف على مواطن الضعف وتطبيب الجراح ورفع الهامة من جديد، والرجوع الرشيد إلى معين الإسلام المُصفى من كل الظلم والخنوع والشرود.

وليسمح لنا حاضرنا المُغيب بسؤال مكرر: ماذا لو أضحى العرب على قلب رجل واحد ووحدوا الصف، وكشر العالم الإسلامي عن أنيابه التي لطالما أخفاها عن الوجود الإنساني طوعًا وكرهًا؟ تُرى لو تحقق ذلك، ألن يكون إيذانًا بفجر جديد يتغير فيه وجه الأرض، وتعود الإنسانية إلى رشدها؟

أحداث غزة.. وكشف حقيقة العالم

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمن المصائب العظام التي يُصاب بها المرء وبعد. غفلته عن حقيقته-بداية ونهاية- واستسلامه لدوافع الطغيان، في ظل استشعاره القوة، والقدرة، والتمكين؛ فيندفع معربدًا ليشبع ما قر في نفسه من تفرد عن أبناء البشر، وما سيطر عليه من شعور بتميز ذاتي أو عرقي، سلبه القدرة على التمييز بين الخير والشر، بل أعمى عينه عن الواقع، فلم يعد يكترث بما يدعى "_خيرًا_"، حتى إنه لم يعد يراه ولم يعد يرى غير نفسه جديرًا بالحياة الحرة الكريمة، فله وحده الحق المطلق في أن يبسط سلطانه على كل ما تقع عليه عينه، وله وحده الحق المطلق في أن يأمر فيطاع، وله وحده الحق المطلق في أن يقول ما يقول، فلا يعقب على قوله أحد إلا بالخضوع والرضا، وله وحده الحق المطلق في أن يحدد الطيب والرديء، وأن يصف من يشاء بالانحراف أو الاتزان؛ حيث يرى أن المنحرف الشاذ الذي يجب أن يقاوم ويباد هو من لا يطيع أوامره وأن المتزن المتحضر هو من يسارع إلى السير في ركابه، ويلبي إشاراته قبل أن تكون مطالب أو أوامر.

ومكمن الخطر الداهم في أنه-مع ضعفه الفطري- يرفع نفسه إلى مرتبة يظن فيها أنه يمنح ويمنع، غير مدرك إلى ما يقوده إليه طغيانه هذا وجبروته من فساد وتحلل ذاتي، بعد أن يعزل نفسه تمامًا عن سائر البشر فلا يبقى له في نفس أحد من ذرة من محبة أو احترام، أو تعاطف؛ حيث يصبح وجهًا كريهًا وإثمًا بغيضًا، وهيئة وحشية تسعد بسفك الدماء وتدمير الحضارات؛ ليصل إلى ما يتوهمه انتصارًا.

ولقد أصيب بهذا الخطر قادة كثيرون على مدى الحياة البشرية على الأرض، دون أن يتعظ واحد بأسلافه، ولقد عرف العصر الحديث في قادة الولايات المتحدة الأمريكية أبرز قادة أصابهم هذا الداء الوبيل، فجمعوا إلى أنفسهم كل شرور السابقين ورعوا بذورها، بكل عناية في نفوس أخلافهم، وتعهدوها بالرعاية والسقاية حتى أثمرت شياطين الشر الذي راحوا ينشرونه في كل بقاع الأرض، وقد ظهر هذا بجلاء في موقف رؤساء أمريكا والغرب من أحداث غزة وعموم فلسطين ودعمهم للكيان الصهيوني المقوت رغم الجرائم الوحشية التي ارتكبها في غزة وطغيانه المبيد.

السابع من أكتوبر في الميزان:

واذا نظرنا بموضوعية في تقييم أحداث السابع من أكتوبر أو ما يسمى عملية "طوفان الأقصى" نجد أنه من الظلم البين والإجحاف الشائن، وصف هذه العملية بالوحشية؛ إذ إنها جاءت حالة من حالات الدفاع عن النفس أقرتها المواثيق والقوانين الدولية التي وضعها الغرب ويعترف بها العالم، وهي رد فعل على ما يمارسه الكيان الصهيوني تجاه الفلسطينيين من اضطهاد وتشريد وتجويع وتخويف واعتقال وتقتيل للشباب والنساء والأطفال وهدم بيوتهم ومصادرة أملاكهم وهم أصحاب الحق والأرض. وأهم من ذلك الاعتداءات الوحشية اليومية على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك فإن ما حدث في السابع من أكتوبر بالمقارنة مع ما يفعله الكيان الصهيوني خلال عشرات السنين الماضية مع الفلسطينيين يعد أمرًا عاديًا.

فآثاره أقل بكثير من الجرائم المدمرة البَشعة التي يقترفها الاحتلال الصهيوني الفاجر، كما أن نتائجه عند حساب الخسائر البشرية لا تذكر أمام الممارسات الفاحشة الغربية أثناء احتلالها الغاشم للأراضي الإسلامية والعربية في العصر الحديث، وهي منعدمة تمامًا أمام ما تخلفه الحروب التي شنتها وتشنها الولايات المتحدة الأمريكية في شتى بقاع العالم.

فقد ذكر أحد الصحفيين من أبناء "بنما" في تعليقه على ضحايا هجوم الحادي عشر من سبتمبر الذي اعتبرته الولايات المتحدة الأمريكية غزوًا لها: إن ضحايا القصف الأمريكي أثناء الحرب في "بنما" لحي "كوريلو" الذي قدم آلاف القتلى دون اهتمام بإجراء حصر جاد لهم، ودون إبداء أي شعور بالندم؛ نظرًا لأن الضحايا من البؤساء غير المتحضرين.

ولم تكن تلك النظرة المتغطرسة جديدة. فمنذ ثمانين عامًا... أعطى سلفهم "تشرشل" أوامره باستخدام الغازات السامة لنشر إرهاب فعال بين الأفغان؛ ساخرًا من رقة الحمقى ذوي القلوب الضعيفة، الذين فشلوا في إدراك أن الأسلحة الكيماوية ما هي إلا مجرد "تطبيق للعلم الحديث على الحرب الجديدة"، وأنه يجب استخدامها "لوضع نهاية سريعة للشغب المنتشر على مقدمة الحدود" من هؤلاء الأفغان البؤساء غير المتحضرين.

فإذا وضعنا عملية طوفان الأقصى في كفة هذا الميزان.. وجدنا أنه حدث عادي لا يصح أن يوصف بما وصف به من أنه حدث تاريخي يوصف بالوحشية المتناهية؛ إذ إن آثاره لا تتجاوز المعتاد.

ولكن نظرة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إلى أحداث غزة تختلف عن ذلك كثيرًا... فقد جعلوا منها حدثًا تاريخيًّا مروعًا، إذ رأت فيه حدثًا فاجأ قادة الطغيان في الكيان الصهيوني المشمول برعاية أمريكا والغرب واخترق أمنهم على نحو غير مسبوق منذ عام ١٩٤٨م.

فالولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا تتبع فيما يتعلق بقضايا فلسطين خاصة والعالم الإسلامي عامة سياسة الكيل بمكيالين، وتتصف في كل قراراتها في هذا الشأن بازدواجية المعايير، والانحياز الكامل والتام والشامل للتحركات الإجرامية اليهودية في فلسطين والعالم الإسلامي وهو واقع ملموس وحقيقة جلية لكل ذي عينين تزيل الحيرة التي تجول في حنايا النفوس المؤمنة الحرة والعقول المنصفة الواعية والأفئدة الخالية من دفائن الحقد وعوامل المشاعر الخسيسة وتظهر دون خفاء حقائق أهمها أن العالم الإسلامي ليس له أصدقاء من الشرق أو الغرب كما يظن البعض وما له من دون الله من والٍ، وهي حتمية ضرورية تقتضي وحدة الأمة الإسلامية للتعامل مع قضاياها المصيرية وترتب أفكارها وتحدد منهجها وتضبط حركتها وسلوكها بناء على هذا التصور.

لا تستغربوا ما يحدث في غزة وفلسطين:

فلا تستغرب لما يحدث في غزة وفلسطين فإن سجل التاريخ يحفل بالوقائع الإجرامية للعالم الغربي الذي يزعم مناصرته لحقوق الإنسان وتجريم الكراهية والعنصرية فمن الوقائع التي لا تنسى.

حرب الإبادة التي شنها الصرب على مسلمي البوسنة.. واستشهد فيها ٣٠٠ ألف مسلم..

واغتصبت فيها ٦٠ ألف امرأة وطفلة..
وهجّر مليون ونصف..

- هل نذكرها؟ أم نسيناها؟ أم لا تعرف عنها شيئا أصلاً؟!

- مذيع سي إن إن يتحدث عن ذكرى المجازر البوسنية، ويسأل (كريستيانا أمانبور) المراسلة الشهيرة:

- هل التاريخ يعيد نفسه؟

- كريستيانا أمانبور من سي إن إن تعلق على ذكرى البوسنة:

- كانت حرباً قروسطية، قتلٌ وحصارٌ وتجويعٌ للمسلمين، وأوروبا رفضت التدخل، وقالت:

- حرب أهلية، وكان ذلك خرافة..!

- أذكر أن صحيفة بريطانية وصفت إبادة المسلمين في البوسنة بهذه العبارة:

حرب في القرن العشرين تُشن بأسلوب القرون الوسطى..!

فما يحدث في غزة من قتل وتدمير هو حلقة من حلقات الإرهاب الأعمى في تاريخ العداء للإسلام والمسلمين، ويعلم القاصي والداني أن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين العربية المسلمة هو صنيعة غربية أمريكية وهدف اجتمعت له الصهيونية العالمية فأمدوه بالمال والسلاح لاستنزاف الامكانيات العربية والإسلامية وتمزيق الجسد الإسلامي، مع خطة خبيثة نلخصها في إلصاق التهم الجزافية الخرقاء بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ورسالته وأمته لتشويه أي مقاومة لمشروعاتهم الدنيئة، وتبرير وحشيتهم في القتل والتدمير، يفعلون ذلك على شبكة "الإنترنت" الذي يقتحم على المسلمين ديارهم ويحملونه في أيديهم ليل نهار، إنها افتراءات منسوبة إلى نبي البر والرحمة، وهي وغيرها مما لا يخشى بأسه، فهي افتراءات تقوم على المغالطات المكشوفة، والفهم السقيم لآيات القرآن الكريم، واقتطاع بعض هذه الآيات من سياقها القرآني على الطريقة المشهورة " فويل للمصلين " أو "لا تقربوا الصلاة ".. أو ذكر بعض الأحاديث المغلوطة والموضوعة أو التي لا يفهم هؤلاء الناس مراميها، حتى البسيطة منها لجهلهم بالعربية وما تحمله أساليبها من طاقات دلالية.

إن هذه الافتراءات لا يخشى بأسها، وإنما هي كلعب الصبيان الذين لا يميزون بين ما إذا كان بأيديهم قطعة من حلوى أو جمرة من نار، ولذا لا ترقى إلى درجة مناقشتها وانما نسوق منها من الأمثلة ما يغني فيه القليل عن الكثير:

- إذا نزل قول الله تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال» (الأنفال ٥٦). فهل يعني ذلك بالضرورة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على استعمال السيف على إطلاقه؟ ألم يذكر القرآن الكريم، والسنة المطهرة من ضوابط الجهاد عندما تدعو إليه الضرورة ما يعد مفخرة يتعلم منها قادة الشعوب من كل ملة وعلى امتداد التاريخ، ويلقى على حمل السلاح قدسية ترقى به إلى مصافَ أرقى العبادات؟!

- وعندما يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: «وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ» (محمد: ١٩)؛ فهل يعني هذا أن رسول الله كان مخطئًا، وهو في حاجة إلى الاستغفار مما بدر منه من ذنوب؟ ألا يدري هذا الأفاك، الذي يزعم ذلك أن هناك مفهومًا في الشرع يقال له "حسنات الأبرار سيئات المقربين"؟ ثم ألا يدري أن هذا توجيه وتعليم للمؤمنين من خلال ما يتوجه به الله مباشرة إلى رسوله الكريم المعصوم؟

- وعندما يقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم» (الأعراف: ٢٠٠)؛ فهل يعني هذا بالضرورة أن الشيطان كان له على الرسول سبيلاً؟ ولن ننشغل بهذه الخزعبلات بأكثر من هذا فإنما هي هرطقات أطلقوها في هذا الوقت بالذات للتغطية على أحداث غزة التي بات واضحًا فيها للجميع مدى الهمجية والوحشية الصهيونية واختلال ميزان العدالة الأمريكية وازدواجية المعايير في الحضارة الغربية وسقوط أقنعة دعاة التطبيع من العرب والمسلمين مع هذا الكيان الصهيوني البائس. والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاختلاف
من أسباب ضعف الأمة

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ
تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ
وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

(الحجرات: ١٥).

مِنْ دلائل النبوة

عن جابر رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يَستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما، حتى كاله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو لم تَكِله لأكلتم منه، ولقام لكم» (صحيح مسلم).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عدم جواز النياحة والدعاء على النفس عند الميت

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شُق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضجَّ ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون» (صحيح مسلم).

حِكَم ومواعظ

قال الحسن البصريُ رحمه الله: "كانوا يتكلَّمون عند معاوية -رضي الله عنه- والأحنف ساكت، فقالوا: مَا لَكَ لا تكلّم يا أبا بحر؟ قال: «أخشى الله إن كذبت، وأخشاكم إن صدقت» (الصمت لابن أبي الدنيا).

من فضائل أبي بكر الصِّدْيق رضي الله عنه

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ -قال أبي: كأنها تعني الموت- قال: «فإن لم تجديني فأتي أبا بكر». (صحيح مسلم).

إعداد : علاء خضر

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَى الله عليه وسلَم يقول: «إذا أخذ أحدكم مضجعه فليقل: اللهمَ خلقت نفسي وأنت توفَاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمَتها فاغفر لها، اللهمَ إنَي أسألك العافية»

(صحيح مسلم).

من أقوال السلف

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لو أنَ رجلا أدرك السَلف الأوَل ثمَ بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئًا». قال: ووضع يده على خدّه ثمَ قال: «إلَا هذه الصَلاة»

(الاعتصام للشاطبي).

من حكمة الشعر

قال الشاعر فيمن تعرَّض له جاهل أو سفيه:

إذا أنت جاريت السَفيه كما جرى...
فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
فإن لم تجد بدًا من الجهل فاستعن...
عليه بجهَال فذاك من العزم

من معاني الأحاديث

«إياكم والشح» الشح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل. وقيل: هو البخل مع الحرص. وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشح عامَ. وقيل البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف. يقال شح يشح شحًا، فهو شحيح. والاسم الشح.

(النهاية لابن الأثير)

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

"من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعمل لغيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته" (الفوائد لابن القيم)

من روائع الماضي

اليهود: نشأةً وتاريخًا

إعداد للشيخ صفوت الشوادفي
رئيس تحرير مجلة التوحيد
الأسبق رحمه الله

الحمدُ لله الذي أرسل رسولَه بالهدى ودِين الحق؛ ليظهرَه على الدِّين كله ولو كره الكافرون، أما بعد:

فلقد تحدَّث القرآن الكريم عن بني إسرائيل بصِفة خاصَّة في حوالي (٥٠ سورة) من القرآن، إضافةً إلى حديثه عنهم في بقية سُوره بوجه عام، باعتبارهم طائفةً من طوائف الكافرين والمشركين. وفي حديث القرآن عن اليهود يتبيَّن لقارئه: أنَّهم جنسٌ متميِّز في الشر والغدْر، آثم في الضلال والكُفْر.

إنَّ تاريخ اليهود مع الإسلام مليءٌ بالغَدْر والخيانة، ولكنَّنا - نحن المسلمين - أصابتْنا آفةُ النِّسيان، ومعها آفةُ الشَّجْب والإنكار.

فإذا رأينا من اليهود غدرًا، رفعنا عقيرتَنا، وخرجْنا في مُظاهرات، وما هي إلا أيَّام قلائل حتى نعودَ إلى سيرتنا الأولى.

بل وفينا سمَّاعون لهم، ومتشبِّهون بهم، ومتعاونون معهم، وهؤلاء يقولون: "الإسلام دين السلام".

وواقعُهم يشهد عليهم بأنَّهم قد جعلوا "الإسلام دين الاستسلام"، مع أنَّ الإسلام لم يُهزمْ قط في معركة دخلها، وإنَّما الذين هُزموا هم المسلمون.

ونحن نقرأ في كتاب الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ (المائدة: ٨٢)، ونفهم أنَّا نُؤجَر بكل حرف عَشْرَ حسنات، وهذا صحيح، ولكن ينبغي أن نفهمَ أيضًا أن عداوة اليهود لنا باقية إلى يوم القيامة.

غدر اليهود:

ويجب علينا أن نُذكِّر الشعوبَ المسلمة أنَّ اليهود قد دبَّروا مؤامرةً لقتل رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد أهدوْا له شاةً مسمومة، ومات الصحابيُّ الجليل ابن البَرَاء رضي الله عنه لأنَّه أكَلَ منها، وما كاد الرسول يأكل منها حتى قال: (إنَّ هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة).

ومرة أخرى تآمر اليهودُ على رسولنا صلى الله عليه وسلم فسَحَروه، كما هو معلومٌ من قصة لَبيد بن الأعصم اليهودي الساحر.

وقد حدَّثنا القرآن عن محاولات اليهود لقتل الأنبياء في مواضعَ كثيرة؛ بحيث إنَّك لو جمعتَ الآيات التي تحدثت عن هذه القضية، لاستبانَ لك أنَّ قتل الأنبياء، والغدْر بهم، كان هدفًا يهوديًا خالصًا، يسعى اليهود إلى تحقيقه بكل وسيلة.

واقرأ ذلك - إن شئت - في سورة البقرة آيات: (٦١، ٨٥، ٨٧، ٩١)، وفي سورة آل عمران آيات: (٢١، ١١٢، ١٨١، ١٨٣)، وفي سورة النساء آيات: (١٥٥، ١٥٧)، وفي المائدة آية (٧٠).

وفي مقابل هذا الغدر وتلك الخيانة يَصفُ القرآنُ اليهود بأنهم - في ميدان القتال - أجبنُ الناس، وأضعفُ الناس، قلوبُهم خاوية، وهِممهم هاوية: «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ» (الحشر: ١٤)، وهذا في أحسن الأحوال، وإلا «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» (البقرة: ٢٤٦)، ثم تمتلئ قلوبُهم رعبًا وخوفًا، وجزعًا وفزعًا، فيقولون: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ» (المائدة: ٢٤).

> “اليهود في ميدان القتال أجبنُ الناس، وأضعفُ الناس، قلوبُهم خاوية، وهِممهم هاوية.”

وإذا كان اليهود يتميَّزون بهذا القدْر العظيم من الجبن والفزع، والخوف والهلع، فهل يُهزمُ أمامهم إلا مَن هو دونهم؟

وممَّا ينبغي على كلِّ مسلم أن ينتبه له: أنَّ اليهود هم أصلُ كل فساد وقع في الأرض، وهم الذين أوْقَدوا نيرانَ جميع الحروب التي وقعتْ في العالم، فإنهم كما وصفهم الله «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة: ٦٤).

فقد كان اليهود وراءَ فساد الإلْحاد، وفساد الأخلاق، وفساد التنصُّر والتكفير، وفساد الأفكار، وفساد القوميَّات والعصبيَّات، وفساد الاقتصاد، وفساد الأسَر والبيوت، وفساد الصحافة والإعلام.

ولذلك أطلق القرآن وصفه لهم بالسعي في الأرض فسادًا، ولم يخصَّ من الفساد نوعًا مُعينًا، ونبَّه بإطلاقه على أنَّهم وراءَ كل فساد.

وفي الكتاب القيِّم الذي بعنوان: "قبل أن يُهدم الأقصى" أقام المؤلفُ الدليلَ على أنَّ اليهود هم المصدرُ الأصلي لفساد العالَم وخرابه، فقال: "وهذا الفساد والإفساد قد ترَك بصماته السوداءَ على صفحات التاريخ توقيعًا عن اليهود، وشاهدًا على حضورهم في كلِّ مجال يمكن الإفسادُ فيه.

فاليهودي (أبو عفك)، واليهودي (كعب بن الأشرف)، واليهودي (ابن أبي الحقيق)، كانوا من أوائل من ألَّبوا الأحقاد، وقلَّبوا الأمورَ في الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، فجمعوا بين اليهود من بني قريظة وغيرهم، وبين قريش من مكة، وبين القبائل الأخرى في الجزيرة على محاربة المسلمين.

واليهودي (عبدالله بن سبأ) هو الذي أثار العوامَّ، وجمع الشراذم، وأطلقَ الشائعات في فتنة مقْتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تلا ذلك من النَّكبات.

واليهودي (مدحت باشا) كان وراءَ إثارة النَّعرات القومية، واستخدام المخطَّطات الماسونية في دولة الخلافة العثمانية؛ مما

أدّى في النهاية إلى سقوط تلك الخلافة على يد اليهودي الأصل (مصطفى كمال أتاتورك).

واليهودي (كارل ماركس) هو الذي كان وراءَ الموجة الإلحادية، التي أصبحتْ فيما بعدُ قوّةً ودولةً، بل معسكرًا دوليًا، بنى نفسَه على أنقاض بلادِ المسلمين وشعوبهم.

واليهودي (فرويد) كان وراءَ النَّزْعة الحيوانيَّة التي أصبحتْ فيما بعدُ منهجًا تتلوث به عقولُ الناشئة، فيما يُصنّف تعسُّفًا على أنه علم وتقدُّم.

واليهودي (جان بول سارتر) كان وراءَ نَزْعة أدب الانحلال في علاقات الأفراد والجماعات.

واليهودي (جولد تسيهر) كان وراءَ حَركة الاستشراق، التي استشرى فسادُها، وعمَّ ظلمُها وإظلامها.

واليهودي (صمويل زويمر) هو الذي خطّط لحركات التبشير، أو بالأحرى: التكفير في بلاد المسلمين، لا لمجرّد إدخال المسلمين في النصرانية، بل لإخراجهم من الإسلام.

واليهودي (ثيودر هرتزل) هو الذي وَضع البذرة الأولى في محنة العصر المسمّاة بأزمة الشّرق الأوسط، عندما خطّط ورسم معالم (الدولة اليهودية) في كتابه المسمّى بهذا الاسم، تلك الدولة التي وُلدت بعد مماته سفاحًا، فكانتْ بؤرةً للإفساد في الأرض.

فإذا أردنا أن نصدّقَ أنّ اليهود قد تخلّصوا من صفة الغدْر والخيانة، أو صفة الفساد والإلحاد، فإنه ينبغي علينا التصديقُ أنّ بإمكان الجمل أن يلجَ في سمّ الخياط، وكلاهما مستحيل، وليس إليه سبيل.

> “هم صابرون مُحتسبُون، فماذا فعلوا حتى يُمنعَ عنهم الطعامُ والشراب؟! وبأيّ ذنب يُعذّبون ويُسجنون؟!”

أعداء الإسلام هم أعداء السلام

إنّ أعداءَ الإسلام هم أعداؤه في كلّ زمان ومكان، فكلما دخل الناسُ في دينِ الله أفواجًا، تضاعفَ الحقدُ في قلوب الكافرين، فهم لا يريدون بقاءَ الإسلام، ولا دخولَ الناس فيه.

فها هي ذي قريش ترى الإسلامَ يفشو في القبائل، ويُضيء بنوره الأرجاء، فتجتمع وتخطط وتتآمر، ويتفق أهلُ الكفر على المؤمنين الموحّدين؛ لأنّهم آمنوا بالله، فخرجوا بذلك على الشرعية الدولية، وكان الحصار شديدًا على نفوس المؤمنين، فما وَهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعُفوا وما استكانوا.

واستمرّ الحصار ثلاث سنوات كاملة، حتى أكلوا ورقَ السَّمُر والشّجر والجلود، وبُكاء الأطفال من الجوع يُسمَع من بعيد، وأنين النّساء والعجائز يخترق الأسماع من وراء شعب بني هاشم في مكة.

كل ذلك والمؤمنون وفيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صابرون مُحتسبُون، فماذا فعل هؤلاء حتى يُمنعَ عنهم الطعامُ والشراب؟! وبأيّ ذنب يُعذّبون ويُسجنون؟! إنّها لُغة الكفر التي تحدّث عنها القرآن: «وقالَ الّذينَ كفَروا لرُسُلهمْ لنُخرجنّكمْ من أرْضنا أوْ لتَعودُنَّ في ملّتنا فأوحى إليهمْ ربُّهمْ لنُهلكنَّ الظالمين» (إبراهيم: ١٣).

واليوم يُعيد التاريخ نفسه:

فقد فكّر أعداء الإسلام بقيادة الأمم المتحدة في أنسب الوسائل للقضاء على المسلمين، فوجدوا أنّ الحصارَ وسيلةٌ فعّالة ومؤثّرة، فاتّخذوه سبيلاً لإرهاب الدولة المسلمة، وهم يسيرون على النهج نفسه، الذي رَسَمه كفارُ قريش.

وإذا نظر المسلم إلى ديار الإسلام في العالَم اليومَ، فإنَّه يبكي دمًا على هذا الظلم الواضح الفاضح، والذي يُمارسه أعداءُ الإسلام، بل أعداء البشرية في إخواننا في مشارقِ الأرض ومغاربها.

ففي البوسنة والهرسك:

فرَضتْ أمريكا ودول أوروبا حظْرًا وحصارًا على المسلمين فقط، فلا أسلحةَ ولا طعامَ، ثم تظاهرتْ هذه الدول أمامَ الرأي العام الإسلامي بأنَّها راعيةُ العَدْل والسلام.

وفي العراق:

كان الحصارُ وسيلةَ إذلالٍ وتجويعٍ للشَّعب العراقي المسلم، بشيوخه ونسائه وأطفاله، وما ذنبُ الشعوب إذا كانت الحكوماتُ ظالمةً أو فاسدة؟

وفي ليبيا:

فرض أعداءُ الإسلام حصارًا على الشعب الليبي المسلم؛ لتجويعه وإذلاله بتُهمةٍ غير واضحة ولا ثابتة، فيما يسمُّونه بحادث لوكيربي.

ويقوم صندوقُ النقد الدولي التابع للأمم المتحدة بدَوْرٍ خطير في إذلال المسلمين، وتجويعهم تحت ستار الإصلاح الاقتصادي، فمع كل قَرْض يُقدِّمه يَفرض ما يشاء من الشروط.

وأخيرًا: أعلنت الأمم المتحدة أنَّها ستمنع المساعدات عن الدول الإسلامية، التي تَرفضُ توصيات مؤتمر السكّان الدولي، الداعية إلى الإجهاض والشُّذوذ الجنسي.

وقد رَفَضت الشعوب الإسلامية هذا التهديدَ الصريح، ورفضتْ معه توصيات المؤتمر الداعية للشذوذ والدَّعارة، والإباحة الجنسيَّة.

إنَّ أصدقَ كلمة قالها أحدُ علماء اليمن المعاصرين: "إنَّ هذه الأممَ المتحدة هي الأوثانُ المتحدة"، فإنَّ الناس قديمًا كانوا يعبدون أوثانًا متفرِّقة من الأحجار والأشجار وغيرها، ومع التطور اختاروا لهم وثنًا مشتركًا هو "الأمم المتحدة"، التي هي وسيلةٌ من وسائل اليهود للسيطرة على العالَم بصفة عامَّة، والمسلمين بصفة خاصَّة، وإنَّ أصدقَ وصف يصدقُ علينا هو أنَّنا لا نستحقُّ نصرَ الله ما دُمنا بعيدينَ عن منهجه، مُنحَرفين عن صراطه المستقيم.

ويبقى سؤال مهم: ما الحلُّ؟

والحل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

وقد ظهرتْ دلائلُ الرجوع إلى الله والفرار إليه واضحةً جلية، ولكن ينبغي على كلِّ مسلم أن يقومَ بواجبه في الدَّعوة إلى الله، والنصيحة لإخوانه، والتحذير من مكايد الأعداء.

فهل نحن فاعلون؟ اللهمَّ نعم.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تُوفيت إلى رحمة الله تعالى يوم ١٨ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٠٢٣/١٢/٢م السيدة/ فريدة يوسف عبد المجيد، شقيقة الرئيس العام لجمعية أنصار السنة. وتتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء لفضيلة الشيخ ولأسرتها، ونسأل الله تعالى لها المغفرة والرحمة، وأن يجعلها الله تبارك وتعالى من أهل الفردوس الأعلى. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قاهر اليهود

إعداد د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على النبي المجاهد الخاتم حامل لواء التوحيد، وقاهر كل كفار عنيد، والسيف المسلول على رقاب إخوان الخنازير والقرود، الذي سلَّطه الله فأراح جزيرة العرب من فساد اليهود، وقد عاثوا في الأرض فسادًا فلم يسلم منهم نبي من سبٍ أو قتل أو سفك الدم بلا حدود، ولو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصى والرمل، والتراب والأنفاس، ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد، ولا وصلت إلى قول إخوان القردة: "إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ" آل عمران: ١٨١.

قتلوا في يوم واحد سبعين نبيًا في أول النهار، وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنمًا، وقتلهم يحيى بن زكريا، ونشرهم إياه في المنشار.

وإصرارهم على العظائم، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة، ورميهم لوطًا بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما.

ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق الحائط، وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله، فقام وهرب، وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه. (هداية الحيارى ٤٦٦).

وابتلاهم الله بالمحَن ليتوبوا ويهتدوا فما ازدادوا إلا ضلالاً وتمردًا وعتوًا، وأراد الله أن يمنّ عليهم بآخر فرصة للتوبة والرجوع إلى الهدى والحق كما فعلوا أيام موسى عليه السلام بعد عبادة العجل، فأرسل إليهم آخر رسل منهم وهم: زكريا ويحيى وعيسى في عصر واحد، فقتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام بتأليب الحاكم الروماني عليه وأنه ساحر، واتهموا أمه بالفاحشة وقد برأها الله، فغضب الله عليهم ولعنهم وسلط عليهم الرومان فدمروا الهيكل، وهو مسجد سليمان عليه السلام، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ونزح الباقون منهم إلى الجزيرة العربية ومصر والعراق وأوروبا.

ثم أخرج النبوة منهم إلى أبناء عمهم بني إسماعيل عليه السلام، فبعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، فلما قام الإسلام واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى، وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء، فكتب الله تعالى عليهم الجلاء، وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق.

وقد تحقق وعيد الله عليهم كما أوعد: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" (الأعراف: ١٦٧)، والذين يسومهم سوء العذاب: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، إلى يوم القيامة. ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم، عليه السلام، وذلك آخر الزمان. وهذا قول كثير من المفسرين

وقبل الإسلام سلط الله على الدولة الأولى الأشوريين، فدمروا مُلكهم وفتكوا بهم، وسلّط الله على الدولة الأخرى بختنصر "نبوخذ نصر" البابلي، فحطم مُلكهم وأعمل السيف فيهم، وسبى الألوف منهم إلى بابل، ثم سلط الله عليهم السلوقيين اليونان، وصار لهم شبه دولة تحت حكمهم، وكانت الفتن والثورات لا تنفكّ تحدث بينهم تسيل فيها الدماء، ولما دالت دولة اليونان السلوقيين خلفهم الرومان، فاستبدوا في البلاد كلها، وفي أوائل عهد الرومان ولد المسيح وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام، وحكم الرومان فلسطين حوالي سبعة قرون، وكان حكمًا صارمًا مستبدًا. وهكذا تتوالى عليهم الذلة والهوان على الناس بما اقترفوا من الآثام.

ولما نزل رسول الله المدينة كانت اليهود والمشركون من أهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فأمرهم الله تبارك وتعالى بالصَبر والعفو والصَفح، فقال تبارك وتعالى: "وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ" (آل عمران: ١٨٦).

كان الكفار معه صلَى الله عليه وسلم بعد الهجرة ثلاثة أقسام: قسم صالَحهم، ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يُظاهروا عليه عدوّه، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم.

وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة.

وقسم تاركوه فلم يُصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه.

فصالح يهود المدينة وكتب بينه وبينهم كتاب أمن، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع وبني النَضير وبني قريظة، فنقض العهد الجميع، وكان آخر هؤلاء يهود خيبر وهم أبعد طوائف اليهود من المدينة.

ولَما نزلت سورة «براءة» نزلت ببيان هذه الأقسام كلها، فأمره الله تعالى أن يقاتل عدوّه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في دين الإسلام، وأمره بجهاد الكفّار والمنافقين والغلظة عليهم، فجاهد

الكفار بالسيف والسَنان، والمنافقين بالحجة واللسان.

وكان أول من نقض العهد بنو قينقاع

فلمَا قدم النبي صلَى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا وادعته يهود كلَها، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وألحق كلَ قوم بحلفائهم وجعل بينه وبينهم أمانًا، وشرط عليهم شروطًا، منها: ألا يظاهروا عليه عدوًا، فلما كان يوم بدر كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد، وأظهروا البغي والحسد، وقطعوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد.

فجمعهم بسوق بني قينقاع وقال: «يا معشر يهود أسلموا، فو الله إنكم لتعلمون أني رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النَقمة فأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنَي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

قالوا: يا محمد إنك ترى أنَا مثل قومك، لا يغرَنَك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمنَ أنَا نحن النَاس.

قال ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق: ما أنزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم: "قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ "(آل عمران ١٢، ١٣)؛ فبينما هم على ما هم عليه من إظهار العداوة ونبذ العهد قدمت امرأة من العرب بجلَب لها، فباعت بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها لحليَ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها من ورائها فحلَه بشوكة وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا. وشدَت اليهود على المسلم فقتلوه، ونبذوا العهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، وغضب المسلمون فوقع الشرَ بينهم وبين بني قينقاع. وأنزل الله سبحانه وتعالى: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ" (الأنفال ٥٨).

وأما بنو النَضير

فقد أنزل الله فيهت سورة الحشر وبين ما وقع فيهت من أحداث فقال: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ "(الحشر: ١-٣).

فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئًا، وجاءهم ما لم يكن ببالهم، وسيَرهم رسول الله وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر. وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم. (تفسير ابن كثير).

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي-صلى الله عليه وسلم- فأمَنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة. (البخاري ٤٠٢٨، ومسلم ١٧٦٦).

وأما بنو قريظة فقد ظاهروا قريشًا وأعانوهم على حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونقضوا العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما أجدى ذلك عنهم شيئًا وباءوا بغضب من الله ورسوله، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة. قال الله سبحانه وتعالى في شأن قريظة وما فعلوه من إعانة المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحزاب: "وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا" (الأحزاب ٢٥: ٢٧).

وحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله فيهم فقال: "فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم" (أخرجه البخاري: ٤١٢٢).

ثم كانت خيبر وهي آخر ما تبقى من معاقل اليهود في المدينة وما حولها

فأتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يُغِرْ بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" (البخاري ٤١٩٧).

فسار صلى الله عليه وسلم إليها، واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي فلما انتهى إليها حاصرها حصنًا حصنًا يفتحه الله عز وجل عليه ويغنمه، حتى استكملها صلى الله عليه وسلم وخمّسها، وقسم نصفها بين المسلمين، واستعمل اليهود الذين كانوا فيها بعد ما سألوا ذلك عوضًا عما كان صالحهم عليه من الجلاء على أن يعملوها ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف مما يخرج منها من ثمر أو زرع، فكانوا أجراء على الأرض خدامًا للمسلمين، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، قال: فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال:

"يا أعداء الله، أتُطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم". فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. (صحيح ابن حبان: ٥١٩٩).

فكانوا فيها حتى أجلاهم عمر ولم يبق أحد من اليهود في جزيرة العرب كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، واني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله» (البخاري ٣١٦٧).

فكان الجلاء من جزيرة العرب ولم يدم بقاؤهم في المدينة بعده صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً حتى طهّر عمر رضي الله عنه ما بقي منهم، ولم يعبد في جزيرة العرب غير دين الإسلام وتحقق وعد الله لنبيه: "لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا" (الأحزاب: ٦٠).

ومعنى لنغرينك: أيْ: لنسلطنَّك عَليْهِمْ.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسلط على رقاب المنافقين واليهود ومن عاونهم حتى أتم الله له دينه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده؛ فاللهم طهّر بلادنا من دنس اليهود والمنافقين.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

التوبة من التنافر والتشاحن والتدابر

إعداد: الشيخ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله ولي الصالحين، وأصلي وأسلم على سيد ولد إلى آدم يوم الدين صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن الناظر المتأمل في واقعنا اليوم يكاد يقول: إن منافرة شديدة واقعة بين الأمة وإسلامها، أو إن عداوة شرسة آخذة بمجامع قلوبها ونواصيها، تقودها قودًا ذليلاً حثيثًا إلى حيث تكون هلكتها، ثم لا تجد لنفسها سبيلاً يهديها، أو سبيلاً ينجيها. ولم يكن ذلك كذلك إلا حين سادت الخصومات، وكثرت المنازعات، وغلب الجفاء، واستحكمت القطيعة، فأذهبت الود والصفاء، وأدى ذلك إلى الشقاق والمرافعات، وعمت الأثرة والأنانية وحب الذات. بل حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، وأصحاب المنهج القويم.. ترى ما السبب في ذلك؟

والجواب: الذي لا يختلف عليه اثنان أمران: هما: الشيطان، والذنوب.

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» (المائدة: ٩١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». (مسلم ٢٨١٢)؛ أي: في الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم حتى تكون من ذلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة.

لذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالحذر من الشيطان الرجيم والعمل على سد المداخل التي قد يدخل عليهم منها فقال تعالى: «قُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» (الإسراء: ٥٣).

وكثيرون أولئك الذين عصوا الرحمن واستجابوا للشيطان فهجروا إخوانهم المسلمين لأسباب غير شرعية، أو لخلاف مادي، وتستمر القطيعة دهرًا، وقد يحلف أنْ لا يكلمه، وينذر أن لا يدخل بيته، وإذا رآه في طريق أعرض عنه، وإذا لقيه في مجلس صافح من قبله ومن بعده وتخطاه، أهذه الأمة الواحدة؟ أهذه تعاليم الأخوة الإسلامية الصادقة؟

وأما الذنوب؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «ما تواد اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما». (صحيح الجامع: ٥٦٠٣)، هذا حديث عظيم يدل على أثر من آثار الذنوب المُرَة، ألا وهو التفريق بين المتوادين في الله المتحابين فيه.

فالعدو الماكر اللئيم، يعرف متى ينقضّ على هذه الأمة، فأول عمل يقول به تشتيت جمعهم، وتفريق كلمتهم، والوقيعة بينهم، فإذا تفرقوا خلا بهم على انفراد. ولقد

حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تُقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» (صحيح الجامع: ٤٢٧)؛ أي: المتخلفة عن القطيع، المنفردة وحدها، لأن نجاتها وسلامتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام، فالاجتماع قوة، والتفرق ضعف وتشتت وهوان.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا
وإذا افترقن تكسرت أحادا

فالتعاون مطلوب من الجميع، أفرادًا وجماعات، وقد شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بالبنيان المتراصّ المركّب من اللبنات، وكل فرد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم لبنة في هذا البناء، فلا بد لكمال هذا البناء وسلامة بنيانه من سلامة هذه اللبنات وتماسكها، أما إذا تفككت وتهلهلت تصدع البناء وانهار، وكذلك الأمة الإسلامية، أفرادها لبنات في المجتمع الإسلامي، لا بد من تضافر جهودهم واجتماع كلمتهم على طاعة الله سبحانه وتعالى وعلى ما يعود على أمة الإسلام بالخير.

ولما كانت السلامة متعسرة فقد أرشد الإسلام المسلمين إلى ما يجب عليهم إذا نال الشيطان من بعضهم وحرضه على أذى الغير والاعتداء عليه، فقال تعالى في معرض مدح عبادة المؤمنين: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» (الشورى: ٣٧).

قال الطبري: «يقول الله تعالى ذكره: وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرمًا هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرم ذنبه، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه». (تفسير الطبري ٢٥/٣٦).

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن زلات المؤمنين فقال تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ» (النساء: ١٥٩)، وأمر المؤمنين بالعفو عن زلات بعضهم البعض فقال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» (الشورى: ٤٠).

وقال تعالى: «وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (التغابن: ١٤). وبين سبحانه أن العفو من صفات المتقين فقال تعالى: «وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» (البقرة: ٢٣٧). ووعد على العفو مغفرة وأجرًا عظيمًا، فقال سبحانه: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٢٢).

ورغّب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو فقال صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه». (مسلم ٢٥٨٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كتم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيّره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء». (صحيح الجامع: ٦٥١٨).

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن خير الرجلين من بدأ بالسلام فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». (صحيح البخاري ٦٠٧٧).

ويكفي من سيئات القطيعة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله قال صلى الله عليه وسلم: «تعرض الأعمال يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، يقول: دعوا هذين حتى يصطلحا». (مسلم ٢٥٦٥)

فالتوبة التوبة: من داء التنافر والتناحر، والتشاحن والتدابر

والحمد لله رب العالمين.

الابتلاء

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**

مدرس القرآن الكريم
بالأزهر الشريف - بالمعاش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فالدنيا التي يعيشها الناس ليست مستقرة على حال، بل هي متقلبة فيوم للإنسان ويوم عليه يقول تعالى: «وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ» (آل عمران: ١٤٠). وحياة الإنسان متقلبة بين السعادة والشقاء، وبين الفقر والغنى، والصحة والمرض، فتارة ترى الإنسان ضاحكًا مسرورًا وتارة تراه مكتئبًا حزينًا، وتارة تراه يرفل في الصحة والعافية، وتارة يعاني الآلام وشدة المرض.

وقد جعل الله هذه الدار دار امتحان وابتلاء يمتحن فيها عباده فالكل يزعم الإيمان ويدعي الإسلام، ولكن لا تظهر حقيقة الإيمان إلا عند الشدة والامتحان، قال تعالى: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ» (العنكبوت: ٢-٣). وقال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ» (محمد: ٣١).

وبيَّن تعالى المجالات التي يمتحن فيها عباده فقال: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ» (البقرة: ١٥٥). فبالابتلاء تصهر معادن الرجال وتظهر حقائق الإيمان، لذلك كان أشد الناس ابتلاء الأنبِياء لأنهم أعلم الناس بالله، وأشد الناس إيمانًا به.

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه» (صحيح الترمذي).

وفي حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له في الرض فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمناشر فيوضع على رأسه، ويجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عنْ دينه» (صحيح البخاري).

ويقول تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ» (البقرة: ٢١٤).

وبعض الناس يظن أن الامتحان والابتلاء يكون بالشر وحده، وذلك غير صحيح، فربما كان الخير أيضًا امتحانًا من الله للإنسان، قال تعالى: «وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (الأنبياء: ٣٥). فبالشر لنعلم من يصبر، وبالخير لنعلم من يشكر، كما قال تعالى: «وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الأعراف: ١٦٨). وقال عن سليمان عليه السلام وما كان فيه من خير «هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» (النمل: ٤٠). فربما كان الخير فيما تراه أنت شرًّا، وربما كان الشر فيما تراه أنت خيرًا، يقول تعالى: «وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١٦). ويقول تعالى: «فَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ الله فيه خَيْرًا كَثيرًا» (النساء: ١٩). وقيل: ربما كان الخير في الابتلاء وربما كان الشر في العطاء.

والمال أحد صور الابتلاء التي يمتحن الله

بها عباده، فبعض الناس يظن أن توسعة الله عليه في أمر المال إنما هو دليل حب الله له، والبعض الآخر يرى أن التضييق عليه في أمر الرزق هوانٌ منه على الله، يقول تعالى: «فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا» (الفجر: ١٥-١٧).

لا هذا ولا ذاك، فليست التوسعة في المال دليل حب الله للعبد، وليس التقتير عليه في الرزق دليل إهانة الله للعبد، فالله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، يقول تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ» (الشورى: ٢٧)، فقد يكون الخير في الغنى وقد يكون الخير في الفقر.

فالمال إذن امتحان للعبد لينظر الله هل سيتصرف في هذا المال وفق ما أراده الله من العبد؟ وهل سيعرف العبد حق الله في هذا المال؟ أم أنه سيبخل به على الفقير والمسكين؟ أم سيستعين بهذا المال على طاعة الله والتقرب إليه؟ أما سيكون هذا المال وسيلة الإنسان لارتكاب المعاصي والصد عن سبيل الله؟

يقول تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً» (الأنفال: ٣٦).

ويعجبني قول القائل: إن الله خلق المال ليكون جواز سفر إلى الجنة فجعلته أطماع الناس جواز سفر إلى النار. وفي الحديث: «إنما أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...» (صحيح الجامع- الألباني).

وقد ذكر القرآن أصنافًا من الذين امتحنهم الله بالمال، وماذا صنعوا به وكيف كانت عاقبتهم كقارون الذي قال: «إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي» (القصص: ٧٨). وكصاحب الجنتين في سورة الكهف، وأصحاب الجنة في سورة القلم.

كذلك من صور الابتلاء: الابتلاء بالولد والزوجة كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (التغابن: ١٤)- إلى أن قال: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (التغابن: ١٥)، ويكون الولد وتكون الزوجة فتنة للإنسان إذا قدَّم أمرهما على أمر الله، وانشغل بهما عن أداء حق الله تعالى، يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (المنافقون: ٩).

ولا يقتصر أمر الامتحان على الأفراد، بل يتعداه إلى امتحان الأمم والمجتمعات وذلك عند ترك الأمم أوامر الله، ونبذها وراءهم ظهريًا والوقوف مع البغاة، قال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» (الأنعام: ٤٢). وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ» (الأعراف: ٩٤). والعجيب والغريب أن تلك الأمم لم يزدها الامتحان والابتلاء إلا قسوة في القلب وإعراضًا عن الله وكان الأولى بهم الرجوع إلى الله، والإنابة إليه والخضوع لأوامره، قال تعالى: «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ٤٣).

وإذا كان هذا شأن الأمم السابقة في الامتحان والابتلاء، فلا يعتقد مسلمو هذا الزمان أنهم بمنأى عن عذاب الله ونقمته وابتلائه لهم، إن هم استمروا في هجرهم أوامر الله وتركهم الحكم بشريعته؛ فلا بد أن يُنزل بأسه بهم ويُذيقهم ما أذاق الأمم السابقة، قال تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (يونس: ١٣-١٤).

وما نزل بالمسلمين اليوم من قتل وتشريد، وإهانة وإذلال في بعض بقاع الأرض إنما هو بسبب بُعدهم عن دينهم وابتغائهم العزة من عند غير الله؛ فإن أرادوا أن يرفع الله ما بهم من بلاء وشدة فلا بد لهم من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يردنا إلى الإسلام ردًا جميلاً وأن يأخذ بأيدينا جميعًا إلى ما فيه الخير والحق والعدل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين.

جبر الخواطر مبدأ إسلامي رفيع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد أرسى الإسلام قواعد لهداية البصيرة الأخلاقية، من هذه القواعد: قاعدة الإسلام الكبرى في العلاقات الاجتماعية: "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به"، وهي القاعدة التي تقوم على قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى له"، وعلى ذلك فالأمر الذي يستحسنه المرء من الآخرين مما لا معصية فيه هو الأمر الذي تدعو إليه الفضيلة الأخلاقية وهو السلوك الأمثل في معاملة الناس.

إعداد الشيخ حسين صادق محمد

وجبر الخواطر وتطييب النفوس المنكسرة من مفردات هذه القاعدة، وهو من أعظم أسباب الألفة والمودة بين الناس.

ومن معاني الجبر في اللغة ما ذكره ابن منظور في لسان العرب (١١٣/٤) فقال: "والجبر: خلاف الكسر، جبر العظم الفقير واليتيم يجبره جبراً وجُبُوراً وجبَارَةً، والجبر أن تغني الرجل من الفقر أو تجبر عظمه من الكسر. قال أبو الهيثم: جبرت فاقة الرجل إذا أغنيته، قال ابن سيده: وجبر الرجل أحسن إليه".

وعلى ذلك ففي الجبر معاني كفاية المحتاج، ومواساة المصاب والمحزون، وإجابة السائل.

وقد يكون جبر الخاطر في حصول مبتغى أو قضاء حاجة أو في لمسة حانيةَ فيها عطفٌ وبرٌّ، وربما كانَ بكلمةَ تُذهب همًا أو تجلب سرورًا.

وقد اعتنى الإسلام بتطييب الخواطر وجبرها عناية خاصة انظر إلى قوله تعالى: «وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُوْلُواْ القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا» سورة النساء (٨)

قال الشيخ السعدي-رحمه الله- وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجابرة للقلوب فقال: "وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ" أي قسمة المواريث (أولو القربى) أي الأقارب غير الوارثين بقرينة قوله "القِسْمَةَ"؛ لأن الوارثين من المقسوم عليهم "وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ" أي المستحقون من الفقراء "فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ" أي أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كدٍّ ولا تعبٍ ولا عناءٍ ولا نصيبٍ؛ فإن نفوسهم متشوفة إليه وقلوبهم متطلعة، فاجبروا

خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم" ا.هـ

وقال تعالى: "وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" سورة البقرة (٢٤١)

قال الشيخ السعدي-رحمه الله-: أي لكل مطلقة متاع بالمعروف حقًا على كل متقٍ جبرًا لخاطرها وأداء لبعض حقوقها.

وقال تعالى: "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)" سورة الاسراء (٢٦-٢٨)

وهذا أمر بإيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل حال السعة والغنى، وفي ذلك جبر لهم يقابله جبر بصورة أخرى إذا لم يكن المرء في سعة، وهو الجبر بالرد الجميل الحميد الذي يحمل في طياته انتظار رحمة الله تعالى ورزقه، كما يحمل في طياته حسن الخلق يبينه الجبر بالمقال.

والناظر في سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم- يراه وهو أكمل البشر أشد الناس مراعاة لذلك. ففي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي بإسناد صحيح من حديث بريدة-صلى الله عليه وسلم- أن أمة سوداء أتت النبي-صلى الله عليه وسلم- وقد رجع من بعض مغازيه فقالت: "إني نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب عندك بالدف" قال:-صلى الله عليه وسلم- "إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي".

فانظر إلى الرد الحكيم أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يردها وإنما رد الأمر إليها وعلقه بها.

وتأمل حميد المقال، وجميل الثناء، وجبر الخواطر في كلمات النبي-صلى الله عليه وسلم- حيث قضى بين ثلاثة من أصحابه اختلفوا في شأن ابنة حمزة-رضي الله عنه وعنها- ففي صحيح البخاري برقم (٢٦٩٩) من حديث البراء-رضي الله عنه – قال: لما اعتمر النبي-صلى الله عليه وسلم- في ذي القعدة..... وفيه فخرج النبي-صلى الله عليه وسلم- فتبعته ابنة حمزة تناديه يا عمّ يا عمّ فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة-رضي الله عنها- دونك ابنة عمك حمليها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر؛ فقال عليٌّ: أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد: ابنة اخي.

فقضى بها النبي-صلى الله عليه وسلم- لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وقال لعليّ: أنت مني وأنا منك، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا.

فانظر كيف طيّب خواطرهم جميعًا وليس هناك ما هو أبلغ ولا أكمل مما فعل النبي-صلى الله عليه وسلم-.

وها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- لما جاءه الناس وهو بين يدي الموت لما طُعنَ فقالوا: أَوْصِ يا أمير المؤمنين (استخْلف) قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهو عنهم راضٍ؛ فسمى عثمان وعلياً والزبير وطلحه وسعد وعبد الرحمن قال: "ويشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء- كهيئة التعزية له-" رواه البخاري.

فانظر كيف لم ينس أن يجبر خاطر ولده في هذا الموقف العصيب، فمصابه كبير ويحتاج الجبر.

واليك هذا الموقف الذي يبين كيف يكون جبر الخواطر وتطييب النفس بالقول الحق مع عدم إدخال المرء نفسه في أمر لا يرضاه. ذلك أنه لما كانت الحرب بين علي ومعاوية-رضي الله عنهما-، وكان عليّ يلوم من تخلف عن نصرته وكان من الذين أحجموا عن هذا القتال "أسامه بن زيد"-رضي الله عنهما- فوجد عليٌّ في نفسه شيئًا تجاه أسامة لمكانته ومكانة أبيه من

رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وبقي أسامة على موقفه يمتنع عن القتال لا يميل إلى هنا ولا هناك، لكن بقي قلبه وعقله عند عليّ-رضي الله عنه-.

فقد أخرج البخاري من حديث حرملة قال: أرسلني أسامة إلى عليّ، وقال إنه سيسألك الآن فيقول ما خلف صاحبك؟ فقل له يقول لك أسامة: "لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره".

وانما امتنع أسامة-رضي الله عنه- لحادثة مشهورة "في غزوة غزاها فبعد أن تمكن من رجل من المشركين نطق الرجل بالشهادة، فرأى أسامة أنه قالها لينجو من القتل، فقتله فلما علم النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:" أقتلته بعد أن قالها" قال أسامة: إنما قالها متعوذاً، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أفلا شققت عن صدره"

ولأجل جبر الخواطر شرعت التعزية:

وفي سير أعلام النبلاء أن إبراهيم بن محمد ابن طلحة لما سمع بما نزل بعروة بن الزبير من قطع رجله وموت ولده في سفرة سافرها دخل عليه معزيًا له مطيبًا لخاطره، فكان مما قال: "والله ما بك من حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدم عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء من علمك ورأيك، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك".

ومن ذلك أن رجلاً دخل علي الخليفة المهدي حين توفيت ابنته وقد جزع عليها جزعًا شديدًا، فقال: "أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجرًا، وأعقبك صبرًا، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير لك منها ورحمة الله خيرٌ لها منك، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده".

فلم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من هذه التعزية، وكان مما سُري عن المهدي بها.

والحاصل أن حسن التعزية من باب جبر الخواطر وتطييبها ولهذا شرعت.

ومن جميل الجبر ما كان يفعله القاضي محمد بن علي المروزي فقد عُرف بالخياط لأنه كان يخيط بالليل للأيتام والمساكين يعدها صدقة".

وقد حكي قتيبة بن سعيد أنه لما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار.

وانظر إلى هذا الموقف الجميل فهو يحمل على الجبر والجود، وفيه بيان للمقصود ذلك أنّ أبا عليّ حسان بن سعيد المخزومي وكان صاحب فضل وبر بينما هو يبني جامعًا كبيرًا جاءته امرأة بثوب قيمته نصف دينار لينفق ثمنه في بناء الجامع فاشترى منها الثوب بنفس طيبة بألف دينار، وسلمت المال إلى الخازن لإنفاقه في بناء الجامع، وخبأ الثوب كفنًا له. (سير أعلام النبلاء)ص

إن جملة من المناهي في القرآن والسنة ما نهي عنها إلا لما فيها من كسر الخاطر وجرح المشاعر منها السخرية، والاستهزاء، والتنابز بالألقاب، واللمز، والتجسس ولا يكون إلا عن ريبة.

لقد راعى الإسلام المشاعر إلى الحد الذي يمنع اثنين من التناجي في حضور الثالث:

"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه" رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

إنّ هذا مبدأ إسلامي رفيع، وأدب حميد حري بكل مسلم أن يتحلى به، فالناس في حاجة إلى الكلمة الطيبة، واليد الحانية، والبسمة الصافية ففيهم المريض والمصاب، والمعوز وصاحب الدَّين، ومن علاه الهم، وكل يحتاج إلى نوع من المعاملة يناسب حاله ومن الخطأ الغفلة عن خواطر هؤلاء فضلاً عن التغافل.

طيب الله نفوسكم ولا كسر لكم خاطرًا، وهدانا وإياكم لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا هو، وصرف عنا وعنكم سيئها لا يصرف سيئها إلا هو.

قصة افتراء بني إسرائيل على دواد وسليمان عليهما السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على هذه الإسرائيليات وما تحمله من افتراء بني إسرائيل علي نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام.

إعداد **الشيخ علي حشيش**

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

١) إن افتراء بني إسرائيل على نبي الله داود وابنه نبي الله سليمان عليهما السلام انتقل إلى بعض كتب التفاسير، في قصة اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ واغتر الكثير بوجودها في بعض كتب التفاسير وكذلك في قصص الأنبياء يفسرون به الآيات (٢١، ٢٢، ٢٣) من سورة (ص).

٢) وإن تعجب فعجب أن هذا الافتراء ينسب إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حديث مرفوع سنكشف عاره ونبين عواره وأنه كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا».

٣) فالقرآن الكريم بريء من هذا الافتراء: «وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت:٤١-٤٢).

٤) والسنة النبوية بريئة من هذا الافتراء، قال تعالى: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٣-٤).

ثانيا: أصل هذا الافتراء

أصل هذا الافتراء والكذب والبهتان على نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام هو الكتاب المسمى «الكتاب المقدس»، وهذا الافتراء سنخرجه من هذا الكتاب وبتخريجه يتحقق قول الحق تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ» (البقرة: ٧٩).

ثالثا: تخريج الافتراء

هذا الافتراء: «افتراء بني إسرائيل على داود وسليمان عليهما السلام». جاء في كتابهم المسمى «الكتاب المقدس» (العهد القديم) ص(٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩) «صموئيل الثاني» (الأصحاح) (١١): يقول كتابهم المقدس:

«وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيدة معه وجميع بني إسرائيل فأخبروا بني عمون وحاصروا ربَّة، وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء، وأن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جدًا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت البعام امرأة أوريا الحثى، فأرسل

داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى». اهـ.

رابعا: افتراء آخر على نبي الله داود عليه السلام

لم يكتف بنو إسرائيل بالافتراء على نبي الله داود عليه السلام بفعل الفاحشة والزنى، بل افتروا افتراء آخر متعلقًا بهذا الافتراء ليكون افتراءً مركبًا على نبي الله داود: فكتبوا بأيديهم في كتابهم المسمى «الكتاب المقدس» -لعنهم الله- فمن إفكهم يقولون: «فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إليَّ أوريا الحثي. فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: أنزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسي لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا والغد، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء.. ونام على باب بيت الملك مع عبيد سيده، والى بيته لم ينزل، وفي الصباح كتاب داود مكتوبًا...». اهـ.

قلت: انظر كيف سوَّلت لبني إسرائيل أنفسهم هذا الافتراء على نبي الله داود عليه السلام وأنه أرسل إلى القائد يوآب أن يرسل إليه الجندي أوريا الحثي من بين الجنود، ثم يأمره أن ينزل إلى بيته ليضطجع مع امرأته واستحيا أن ينزل إلى بيته ويضاجع زوجته والقائد يوآب والجنود في جهاد مع العدو، ولم يستح نبي الله داود أن يرسل إليها وتدخل إليه ويضطجع معها وزوجها أوريا في غيبته مع الجنود، ثم رجعت إلى بيتها وأخبرت داود أنها حبلى، هذا الافتراء كتبته بنو إسرائيل- لعنهم الله- بأيديهم في كتابهم المسمى «الكتاب المقدس».

ولسائل أن يسأل لماذا كتبوا هذا الافتراء الآخر باستدعاء الجندي أوريا ويأمره أن يضاجع زوجته، لقد كتبوا هذا ليلبسوا نبي الله داود أوضاعهم القبيحة بين المكر والغش والخداع والحيلة التي فعلها داود مع أوريا ليضاجع زوجته ليواري فعلته إذا ما ظهر حملها، ولكن لم تتم الحيلة لاستحياء أوريا كما بينا آنفًا.

خامسا: افتراء ثالث

لم يكتف بنو إسرائيل - لعنهم الله- بهذه الافتراءات على نبي الله داود عليه السلام: فمن افتراء بالزنا وفعل الفاحشة، إلى افتراء بالمكر والغش والخداع ليواري داود فعلته ويضاجع زوجة أوريا، ولما لم تتم الحيلة، افترى بنو إسرائيل على نبي الله داود عليه السلام افتراء ثالثا فكتبوا بأيديهم في كتابهم المسمى «الكتاب المقدس» - لعنهم الله- فمن إفكهم يقولون:

«وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: «اجعلوا أوريا في الوجه الحرب الشديدة، وأرجعوا من ورائه فيضرب ويموت»، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البائس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضًا». اهـ.

سادسًا: افتراء رابع

بعد افتراء بني إسرائيل على نبي الله داود عليه السلام بأنه مكر وغش وخدع الجندي أوريا وحمله إلى مكان يدري أن فيه قتله يسلمه بيده إلى القائد يوآب، ومات أوريا الحثي ليتزوج داود امرأته كما هو مبين فيما ختموا به «الإصحاح» (١١) من «صموئيل الثاني» من كتابهم المسمى «الكتاب المقدس».

حيث كتبوا بأيديهم- لعنهم الله- من إفكهم يقولون: «فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب». اهـ.

سابعًا: افتراء خامس

كتب بنو إسرائيل بأيديهم -لعنهم الله- في «الإصحاح» (١٢) من «صموئيل الثاني»: «وضرب

الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فثقل، وكان في اليوم السابع أن الولد مات... وعزى داود امرأته، ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابنًا فدعا اسمه: سليمان...». اهـ.

قلت: انظر كيف سولت لهم أنفسهم أن يجعلوا هذه المرأة بالذات أمًّا لنبي الله سليمان عليه السلام، وأن أباه داود له تسع وتسعون امرأة غير هذه المرأة التي تزوجها بعد قتل أوريا، وهذا أيضًا من الافتراء على نبي الله سليمان عليه السلام في نسبه.

ثامنًا: القصة والتفاسير والقصص

هذه الإسرائيليات دُسَّت في بعض التفاسير وفي كتب قصص الأنبياء:

١) فمن كتاب قصص الأنبياء التي ذكرت هذه القصة ما أورده أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعْلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ في كتابه «قصص الأنبياء» ص(٣٠٤ إلى ٣١٢): في تفسير قوله تعالى: « إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» (ص: ٢٣).

أورد تفسير محمد ابن السائب الكلبي وهو من الإسرائيليات أوردناها وذكر فيها نظر داود إلى المرأة التي تستحم، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٥٥٦/٧٥٧٤): محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي المفسر: قال أحمد بن زهير قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا.

قال ابن معين: الكلبي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدار قطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به. اهـ. مات سنة ١٤٦هـ

ونقل تفسير السدى كل الإسرائيليات المفتراة على نبي الله داود من لحظة النظرة إلى زوجة أوريا وهي تستحم، إلى قتل أوريا وتزوج امرأته فهي أم سليمان عليه السلام.

والسدي أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٩/٣٨٧) وقال: محمد بن مروان بن عبد الله بن عبد الرحمن السدى الأصفر، روى عن محمد بن السائب الكلبي وآخرين، قال أبو حاتم: «ذاهب الحديث، متروك الحديث لا يُكتب حديثه ألبتة». وقال عبد الله بن نمير: «كان السدى كذابًا». اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان»: (٢/٢٧٧/٣٧٢٧): «متروك». اهـ.

٢) كتب التفاسير: الإمام الحفاظ ابن كثير في «تفسيره» للآيات (٢١-٢٥) سورة (ص) قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ منه، فلا يصح سنده من رواية يزيد الرقاشي، أن أنس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن داود النبي حين نظر إلى المرأة...» من الإسرائيليات.

قلت: وعلة هذا الخبر المأخوذ من الإسرائيليات: يزيد الرقاشي؛ قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٤٢): «الرقاشي متروك». اهـ. وأورده الذهبي في «الميزان» (٤/٤١٨): قال أحمد: «منكر الحديث». إلى أن نقل عن الإمام شعبة أنه قال: «لأن أزني أحبَ إليّ من أن أُحدّث عن يزيد الرقاشي». اهـ.

وختامًا: لا يوجد كتاب كرَم نبي الله داود عليه السلام مثل «القرآن الكريم»؛ فقد ذكره الله سبحانه في مقام العبودية فقال: «وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ»، (ص: ١٧): هذا المقام الذي حفظه الله تعالى من الشيطان بقوله: « إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا » (الإسراء: ٦٥).

واستمع إلى تكريم الله سبحانه لنبيه داود في القرآن الكريم في قوله تعالى: « وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ » (سبأ: ١٠): يقول العلامة السعدي في «تفسيره»: «ومن نعم الله على نبيه داود عليه السلام: ما خصَّه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تُؤَوِّب معه، وتُرجّع التسبيح بحمد ربها، مجاوبةً له، وفي هذا من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده». اهـ.

« فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ » (البقرة: ٧٩).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ علي حشيش

(٩٨٤): «من مات مريضًا مات شهيدًا، ووقي فتنة القبر، وغدي وريح عليه برزقه من الجنة».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٧٤) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ه عن أبي هريرة».

قلت: «هـ» ترمز إلى سنن ابن ماجه.

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، ولكن هذا الحديث كما سنبين من التخريج والتحقيق أنه حديث «موضوع»، مع بيان حد هذا المصطلح وتطبيقه على هذا الحديث؛ حتى يجد طالب العلم أيضا في هذا البحث دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج

١- الحديث أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (١/٥١٥) ح(١٦١٥) قال: «حدثنا أحمد بن يوسف، قال حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا ابن جريج».

ح وحدثنا أبو عبيدة بن أبي الشفر، قال: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني إبراهيم بن محمد بن أبي عطاء، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات مريضًا مات شهيدًا...» الحديث.

ثانيا: التحقيق

١) قال الإمام النووي في «مقدمة شرح مسلم» فصل ٨ «الاقتصار على الرموز» «حرف (ح) وهي حاء مهملة مفردة، والمختار أنها مأخوذة من التحول، لتحوله من إسناد إلى إسناد». اهـ.

قلت: والتقى الإسنادان عند ابن جريج فقد تابع حجاجًا عبد الرزاق قال: أنبأنا ابن جريج به، وهذا الحديث لا يصح لما به من علل:

٢) من هذه العلل ابن جريج: أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة (١٧/٣) وقال: «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدار قطني: شر التدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح». اهـ.

٣) قلت: وما قاله الإمام الدار قطني حق ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث؛ حيث إن ابن جريج دلسه عن مجروح بنوع من أنواع التدليس هو: «تدليس الشيوخ»، وهو أن يروي الراوي عن شيخ حديثا سمعه منه فيسميه بما لا يعرف به كي لا يعرف. اهـ.

٤) ولقد أخرج هذا الحديث الإمام أبو عبد الله الحاكم في «معرفة علوم الحديث» النوع (٤٠) «معرفة أسامي المحدثين» وقال: «إبراهيم هذا هو ابن محمد بن أبي يحيى الأسلمي كان ابن جريج يقول فيه إبراهيم بن أبي عطاء وهو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى». اهـ.

٥) والغرض من هذا التدليس هو ضعف إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى وهو مجروح الجرح الشديد؛ ولذلك أخرج هذا الحديث الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢١٦-٢١٧)، وقال: «هذا حديث لا يصلح ومداره على إبراهيم وهو ابن أبي يحيى، وقد كانوا يدلسونه لأنه ليس بثقة، وكان ابن جريج يقول: إبراهيم بن أبي عطاء، وهو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، قال مالك، ويحيى بن سعيد، وابن معين: هو كذاب، وقال أحمد: قد ترك الناس حديثه، وقال الدار قطني: متروك». اهـ.

الاستنتاج: بما أن الراوي كذاب، «والطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ. كذا في «شرح النخبة» ص (٤٤) للحافظ ابن حجر، إذن الحديث «موضوع».

حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

الحلقة 2

نقض دعوى الحق الديني لليهود في أرض فلسطين

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فكثيرًا ما يشغَب معشر يهود ويدَّعون أن لهم حقًا دينيًا في فلسطين، وهذا بالطبع وبكل تأكيد: ادعاء كاذب. وأسفارهم وإن كانت تشهد بأن ثمة وعدًا - مجردُ وعدٍ دون أن يكون ثمَّة امتلاك للأرض في واقع الحال - جرى في يوم من الأيام على ألسنة أنبياء الله (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، لبنيهم من نسل (يعقوب) بأن يرثوا ويمتلكوا أرض الله المقدسة، فإن ذلك كان مشروطاً بالحفاظ على منهج الله الذي خطه لعباده، وأنهم لما بدلوا وأفسدوا ونقضوا عهودهم ووعودهم جرت عليهم سنة الله في خلقه والقائل عنها: «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم» (محمد: ٣٨).. وليس بمقدور كل أحد أن يستوعب حكمة الله في أن يأمر خليله إبراهيم في حياته بل وقبل أن يولد له (إسحاق) على الصحيح، بالذهاب بـ(هاجر) زوجه الثانية وابنه الذي جاءه منها على الكبر (إسماعيل)، إلى بلاد العرب ليكون بمثابة التمهيد لتحول لمَّا يحن وقتُه بعدُ، وسيكون بعد زمن طويل وفق علمه تعالى وبعد أن تُهيَأ أسبابه.

وحسب ما سنَّه الله في خلقه من أن «الأرض لله يورثها من يشاء من عباده»، ومن أن سنته كذلك في التحول وفي التمكين في نهاية المطاف لأهل الحق؛ حيث جعل المآل دائماً وأبداً «وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف: ١٢٨)، فقد كذَّب بنو إسرائيل بما جاءهم به أنبياؤهم من قبل بالبيِّنات؛ وارتكبوا الكفر والفجور من الأعمال، على ما نطقت الآيات من نحو ٤٤: ١٠٢ من سورة البقرة، و١٨١: ١٨٤ من آل عمران، والآية ٣٢، ٣٣ من المائدة، والآيات ١٣٢، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٥ من سورة الأعراف، والآية ٣٤ من سورة غافر.

بل وعلى ما ورد ذكره في التوراة السامرية؛ وفيها - مما يفيد أن الطرد لاحق لا محالة لفجور الشعوب وببني إسرائيل إن هم فعلوا فعلهم-: "ليس بزكاتك ولا بسلامة قلبك أنت داخل لوراثة أرضهم، بل لفجور الشعوب، هؤلاء الله قارضُهم من بين يديك.. وحتى يَثبتَ الأمر الذي أقسم لآبائك لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب. فاعلم أن ليس لزكاتك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه وراثة، إذ شعب قاسي العُرْف أنتَ"..

وهي في الإصحاح التاسع من سفر التثنية بالعدد الخامس والسادس بلفظ:

"ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لإثم أولئك الشعوب يطردهم الرب أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فاعلم أنه ليس لأجل برِّك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعبٌ صُلبُ الرَّقَبة"، كذا بما يفيد أنهم قوم يبتليهم الله ويبتلي بهم

غيرهم.. وآية ذلك أنه لما وقع ما حذرهم الله منه على ألسنة أنبيائهم؛ نفذ فيهم وعيده تعالى لا وعده.

والذي يجب أن يكون حاضراً في الأذهان؛ هو أن الله لا يرضى لعباده الكفر، ومن ثم فقد قضى أن لا ينال عهده الظالمين ولا ينال الظالمون عهده، ومضت سنته في أن الأرض له سبحانه يورثها عباده الصالحين.

تلك هي الحقيقة التي يماري فيها البعيدون عن منهج الله وغير العارفين بسنته تعالى في خلقه، ولاسيما في معالجة مشكلة الشرق الأوسط التي علا فيها صوت الغوغاء، وانمحت بسببها لغة العقول وروح الشرائع، وراجت حولها دعايات وأكاذيب الآلة الإعلامية الصهيونية الجهنمية التي أشاعت بالباطل أحقية اليهود في تيك الأرض المقدسة وأذاعت به، وأقرت وارتضت في سبيل تحقيقه: كل ما يفعله في عصرنا قتلة الأنبياء وعبدة الطاغوت وإخوان القردة والخنازير ومن لا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمة؛ ضد أصحاب هذه الأرض على الحقيقة، من:

استخدام كل ألوان البطش والعربدة، والتدمير والتهجير القسري، وسفك الدماء والإبادة الجماعية واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًا، والحبس والسحق واتباع كل ألوان التعذيب، وسلب الأرض وهتك العرض وإهلاك الحرث والنسل، بحيث لم يسلم من شرورهم طفل ولا شاب؛ ولا رجل ولا امرأة؛ ولا عجوز ولا كهل.

وما جرى قبل ويجري الآن، وما يحدث على أرض هذا البلد العربي الإسلامي (فلسطين) من انتهاكات لأنفس ومقدسات المسلمين بشكل دائم لا تبدو معه ولا تلوح في الأفق القريب حياله نهاية، كفيل بأن يدحض ما يقال على الساحة العربية والدولية من لغط في أحقية بني إسرائيل في أرض فلسطين أو أجزاء منها والرجوع لما قبل حدود ١٩٦٧، وما يقطع باستحقاق أن يقطعهم الله في الأرض أممًا، ولأن يأتوا فيما بعد لفيفًا ليكون في ذلك حتفهم وهلاكهم.

ذلك أن تلك الانتهاكات والإصرار من قبل هؤلاء المجرمين؛ الذين لا يريدون العيش - مع من احتلوا أرضهم وديارهم - في أمان، ولا يرومون ولا يسعون معهم إلى سلام، ولا يقنعون بما تحت أيديهم مما استلبوه من بلاد المسلمين التي آوتهم بعد أن طردوا من غيرها من بلاد الشرق والغرب شر طردة، إنما يريدون عن طريق ترويج الأكاذيب ولي الحقائق: تحقيق المزيد من مطامعهم وأن يكون الوطن العربي كله من النيل إلى الفرات بل والإسلامي كذلك، أسير شهواتهم ومرتع نزواتهم وعنصريتهم، وأن يدمروا مع ذلك أولى قبلتي المسلمين، ليبنوا على أنقاضه وأشلاء المدافعين عنه أسطورة لطالما تغنوا بها أسموها: (الهيكل)..

أقول: إن كل هذه الانتهاكات أضحت شاهد عيان على صدق وعد الله ووعيده.. وإليه وحده تعالى المشتكى.

من هنا - ولاسيما في تيك الأيام التي يراد للصوت الإسلامي العربي في فلسطين وبشتى الوسائل والضغوطات الداخلية والخارجية، أن يخفت أو يعترف لإسرائيل بحق احتلال الأرض والمساومة على حق الشعب الفلسطيني الضائع والمغلوب على أمره - كان لزاماً أن تنكشف الحقيقة كاملة غير منقوصة إن كنا نريد الوصول إليها ونريد معها الوصول إلى رضائه تعالى والجنة.

وتتمثل أولى تلك الحقائق في ألا حق لليهود - دينيًا ولا تاريخيًا - في قيام هذه الدولة العدوانية في قلب العالم العربي لتكون شوكة في جنبه؛ وغصة في حلقه؛ وخنجراً مسموماً في ظهره.. إذ مما ينبغي أن يعيه كل مسلم، هو أن رفع شعار (أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل الموحدة) والعمل من ثمَّ على تحريرها من سكانها العرب والمسلمين.. إنما ينبع لدي أولئك الساسة الفجرة ورجال الدين الكهنوتي من منطلق عقدي يتمثل في أنها الأرض التي وعدوا بها على ألسنة رسلهم، وقد تم التخطيط لهذه الانطلاقة منذ بداية هذا القرن على يد (هرتزل)

الذي فكر في إقامة دولة يهودية سياسية، ثم عدل عن ذلك لما بدا له معارضة مؤتمر الحاخامات؛ وعدم رغبة يهود العالم في النزوح عن بلادهم التي استقروا فيها.

١ - مَنْ وراء مؤامرة احتلال أرض فلسطين:

الأمر الذي دعاه لأن يعمل على تحويل الموضوع من قضية سياسية إلى قضية دينية يُلهب بها عواطف جماهير اليهود، وقد رأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، باعتبارها حسب ما تقضي به عقائد اليهود (أرض الميعاد).

وكانت بريطانيا قد عرضت عليه سنة ١٩٠٣ فكرة استيطان اليهود في (أوغندا) لاعتدال مناخها وغناها، غير أن هذا العرض رُفض كما رفضه المؤتمر الصهيوني، ومن قبلُ عُرض على وزير المستعمرات البريطاني تشامبرلين في أكتوبر ١٩٠٢ فكرة جعل الاستيطان في منطقة العريش بسيناء وفشل؛ نظراً للصعوبات التي كانت حول النزاع على حدود سيناء مع الدولة العثمانية، كما لم تنجح فكرة جعله على ضفتي نهر الأردن، تلك الفكرة التي تبناها من قبل اليهودي الفرنسي (موسى هس).

وآثر هرتزل تنفيذ خطته - التي ساندته فيها بريطانيا بعد أن تصاعدت هجرة يهود روسيا وأوربا الشرقية إلى أرض فلسطين - واضعاً في اعتباره تراثاً دينياً لم يكن هو شخصيًا يؤمن به.

الأمر الذي عكس رغبة أوروبا في التخلص من اليهود بأي شكل، مع إيمانها بالمشروع الصهيوني الذي يهدف إلى شغل البلاد المسلمة والضغط عليها من جانب، وإلى زرع جسم غريب يستنزف طاقاتها وقدراتها وثرواتها من جانب آخر.

وانتصرت في النهاية فكرة (هرتزل) التي تضمنت - على ما جاء في وقائع المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة (بازل) السويسرية في سبتمبر عام ١٨٩٨ - قيام دولة إسرائيل في فلسطين بعد خمسين عاماً، وقيام إسرائيل الكبرى التي تشمل على حد زعمهم الحدود التاريخية والدينية الممتدة من النيل إلى الفرات بعد مائة عام، وهي ما سعت جاهدة في سبيل تحقيقه من خلال غزو العراق عن طريق حلفائها من الأمريكان والروافض والغرب؛ وتسعى حاليًا لاستكماله.

وكان أن دعا هرتزل ساعتها وفي سبيل تحقيق فكرته، لإزاحة السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين، الذي كان يمثل العقبة الكئود أمام تحقيق الحلم الصهيوني، وكان لهرتزل فيما بعدُ ما أراد، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرته عام ١٩٠٥ أي؛ بعد وفاته بسنة واحدة، وعمل اليهود من يومها على تقويض الخلافة الإسلامية، وساعدهم في كل هذا ولازالت، قوى كبرى حاقدة على الإسلام والمسلمين.

ومن يوم أن وعد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا يهود العالم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين في ١٩١٧/١١/٢م ليعطي مَن لا يملك مَن لا يستحق، والأحداث تتواصل بسرعة مذهلة.. فما أن أقامت إسرائيل دولتها في ١٩٤٨/٥/١٥م واعترفت بها روسيا بعد ثمان دقائق، وأمريكا بعد نصف ساعة، وقررتا أن إسرائيل خُلقت لتبقى.. حتى دخلت في ١٩٦٧/٦/٥م في حرب مع جيرانها العرب، استولت خلالها على القدس الشريف والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان وأرض سيناء.

ثم ما لبث أن فجع العالم الإسلامي بعدها بـ (مناحم بيجن) يضيف إلى البعد السياسي الذي انتزعه الصهاينة دون أي مستند لوضع القدس، بعداً آخر دينيًا.. وذلك أثناء تعقيبه على خطاب الرئيس (السادات) - رحمه الله - أمام الكنيست حيث قال مؤكداً هذا الحق المزعوم: "إن حق إسرائيل في فلسطين حق أبدى تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه".. وبعد استدلاله على دعواه الكاذبة، بقول الله تعالى على

لسان موسى: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» (المائدة: ٢١)، أردف يقول "إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق؛ فلا يجوز لأحد دينيًا أن ينازعنا فيها".

ونسى هؤلاء جميعاً، بل وكل من انطلى عليه كلامهم هذا؛ أو قيل بحضورهم دون أن ينبثوا ببت شفه، ما حدّثت به الأجيال جيلاً بعد جيل عن مكر هؤلاء اليهود منذ أن خلقهم الله، وعن ظلمهم الذي ورثوه كابرًا عن كابر، وما جرت به سنة الله في أن الله ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ويمحق الأمة الظالمة ولو كانت مؤمنة.

٢- سنن الله في إقامة العدل ورفع الظلم:

نسي كل هؤلاء ومع كل ما ذُكر، أن «الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (الأعراف: ١٢٨)، وأن سنة الله الماضية تقضي بأن البقاء للأتقى والأحفظ لتعاليم الرب واتباع أنبياء الله ورسله، على ما أفاده قول الله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ» (إبراهيم: ١٣، ١٤)، يعني: لما تمادت أمم الرسل في الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم وتوريثهم أرضهم وديارهم، ووعدهم النصر.. وقوله كذلك:

«وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا»

(الإسراء: ٧٦، ٧٧). يقول أهل التفسير: إن (سُنَّة) "نصب على المصدرية، أي: سَنَنَّا في ذلك سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا.. إلخ، وهي أن لا ندع أمة تستفز رسولها لتخرجه من بين ظهرانيها، تلبث بعده إلا قليلاً، فالسُّنَّة لله وأضيفت للرسل لأنها سُنَّتْ لأجلهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: «ولا تجد لسنتنا تحويلاً»"، كذا ذكره الآلوسي والطبري.

وإذا كان ذلك هو عينه ما جرى وفق سنة الله وما حصل لسائر الأمم الكافرة، فما يكون الحال لمن أجمعوا - على مدار تاريخهم الطويل -على إخراج الأنبياء والاعتداء عليهم بسائر أنواع البطش والاعتداء؛ وتآمروا على قتلهم، ناهيك عن كفرهم بالرب وعبادة العجل ونقض جميع ما أمر به الله تعالى؟!.

لا شك أنها الإبادة، ومصداقه في كتب القوم، ما جاء في سفر (لاويون ٢٥: ٢٣) من قول الرب في خطابه لبني إسرائيل: "والأرض لا تباع بتة، لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي".. وما جاء في سفر حزقيال ١١: ١٧ - ٢١ "قال السيد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها وأعطيكم أرض إسرائيل. فيأتون إلى هناك ويزيلون جميع مكرهاتها وجميع رجاساتها منها. وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم. لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً. أما الذين قلبهم ذاهب وراء قلب مكرهاتهم ورجاساتهم فإني أجلب طريقهم على رءوسهم، يقول السيد الرب".

لقد نسي معشر يهود أن وعد الله بالتمكين لا يتحقق إلا لمن يؤمن به ويقيم العدل في الأرض، ويشيع الصلاح بين جنباتها، كي تنسجم حركه الكون ويعمر بذكر الله، ويشدو من فيه بتوحيده؛ إذ الكون وما فيه ومن فيه ما خلق إلا لهذا على ما جاء في قوله: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» (الإسراء: ٤٤)، وقوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

ونسوا كذلك أو تناسوا أن تاريخهم الأسود بماضيه البائس وحاضره اليائس، ملطخ بدماء الأبرياء ومليء بانتهاك حرمات رب الأرض والسماء، ومفعم بالقتل والتآمر على الأنبياء ومَن كانوا يأمرونهم بالقسط من الصلحاء، ومترع بكتمان وتحريف الكلم عن مواضعه، وحافل بضروب الظلم ومختلف الجرائم، وتلك أمور تحول وفق سنن الله في خلقه؛ دون التمكين في الأرض أو التمايز عن الخلق، وللحديث صلة إن شاء الله.

حب الأطفال بين الإفراط والتفريط

(ضوابط في حب الأولاد)

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**

من حقوق الطفل : حق الحب والحنان والرحمة

وذالكم الحق المركب من الحب والحنان والرحمة هو من أهم الحقوق التي افتقدها كثير من الأبناء في آبائهم، فالحب وحده -وهو أمر فطري في الآباء- لا يكفي؛ بل لا بد من سقايته بماء الحنان والرحمة فيترعرع الطفل وينشأ سوي النفس معتدل المزاج.

والعطف على الصغار يولد فيهم حب آبائهم والسير على منهاجهم وطريقتهم ويجنبهم مخاطر العقوق والتمرد.

واذا لم يشعر الطفل بهذه المحبة فسوف ينشأ محباً لنفسه فقط كارها لكل من حوله.

فلا شيء على الإطلاق ينبغي أن يحول بين الأبوين وبين منح الطفل حاجته الطبيعية من الحب والحنان والرعاية، ويجب أن يعلم المربي أنه يفسد كيان الطفل كله إنْ حرمه من حقه في هذه المشاعر، التي أودعها الله برحمته وحكمته في الأبوين بحيث تتفجر تلقائيا لتفي بحاجة الطفل.

لذا ينبغي ألا ينشغل عنه المربي بأيْ شاغل من عمل خارج المنزل أو خلافات أسرية أو غير ذلك.

واذا وجد الحب تمت عملية التربية بسهولة لأن " المحب لمن يحبُّ مطيع " لذا سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهديه العملي والقولي إظهار المودة والحب للأبناء ويتضح ذلك من خلال تأمل النصوص التالية:

عن عَبْد اللَّه بْن بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وسلم - يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْمِنْبَرِ

فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله: « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » (التغابن) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر، حتى قطعت حديثي فرفعتهما. إسناده حسن: النسائي(١٤١٢)، وانظر: صحيح الجامع(٣٧٥٧). وكثيرًا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاعب الحسن والحسين ، وكان يقول: هما ريحانتاي من الدنيا. أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣٧٥٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن الحسن، أخبرني أبو بكرة، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بنا، وكان الحسن يجيء وهو صغير فكان كلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثب على رقبته وظهره، فيرفع النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه، فقالوا: يا رسول الله، إنك تصنع بهذا الغلام شيئا ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال: إنه ريحانتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. حسن لغيره: أخرجه ابن حبان (٦٩٦٤)، وانظر: « الصحيحة » (٥٦٤) ، وزيادة « إن ابنى هذا سيد... » في البخاري(٢٧٠٤).

وعن أبي هريرة، قال: كنا نصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه، أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا، فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا. حتى قضى صلاته، أقعدهما على فخذيه. قال: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله، أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما. قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا. حسن: أخرجه أحمد (١٠٨٠٩) وانظر: « الصحيحة » (٣٣٢٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه " حسن: أخرجه أحمد (٢٣١٩٧) ،انظر: "صحيح الجامع" (٥٤٤٣).

حب الأطفال بين الإفراط والتفريط:

ولكي لا يخرج الحب عن حد الاعتدال والتوازن ويميل إلى الإفراط والدلال لا بد للمربي من الوقوف عند بعض الضوابط في الحب

ضوابط في حب الأولاد:

الضابط الأول: الالتزام بشرع الله القاضي بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين، عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين أخرجه البخاري (١٥). وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده » أخرجه البخاري (١٤).

الضابط الثاني: ألا يكون حب الولد مانعا للخير أو صادا عن سبيل الله وذلك فيما نبه عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم ، عن محمد بن الأسود بن خلف، عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حسينا فقبله، ثم أقبل عليهم، فقال: إن الولد مبخلة، مجبنة، مجهلة، محزنة" حسن بشواهده: أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٢١) ، وانظر: صحيح الجامع (١٩٩٠).

وعن يعلى العامري ، أنه قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فضمهما إليه وقال : " إن الولد مبخلة مجبنة " ابن ماجه (٣٦٦٤) ، صحيح سنن ابن ماجه (٣٧٣٣) ، "قال الأرنؤوط" : حسن لغيره.

والمعنى أن الولد والحرص عليه يصرف والديه عن الجود والكرم والإنفاق في أعمال الخير ويقصران المال للنفقة عليه ويحول الولد أحيانا بين الوالدين وصفة الشجاعة والإقدام فيبعث فيهما روح الخوف والبقاء على رعايته. والمطلوب هو التوازن في المحبة وإيثار محبة الله ورسوله في حالة التعارض.

الضابط الثالث: الصبر على وفاة الطفل واحتسابه عند الله تعالى من غير جزع ولا عويل ولا صياح. وقد جاء عن أبي هريرة ،

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة إسناده حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٨١)، "صحيح الجامع" (٥٨١٥)، وانظر: "الصحيحة" (٢٢٨٠).

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال: مرَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بامْرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال: اتقي الله واصبري ". قالت: إليكَ عنّي، فإنكَ لمْ تُصبْ بمصيبتي. ولم تعرفه، فقيل لها: إنهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فأتتْ بابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلمْ تجدْ عندهُ بوّابين، فقالتْ: لمْ أعرفْكَ. فقال: إنما الصبْرُ عند الصّدْمة الأولى. أخرجه البخاري (١٢٨٣).

وعنْ أنسِ بْنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنْهُ قال: دخلْنا مع رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيْفٍ القيْنِ، وكان ظئْرًا لإبْراهيم عليه السّلامُ، فأخذ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إبْراهيم فقبّلهُ وشمّهُ، ثُمّ دخلْنا عليْه بعْد ذلك، وإبْراهيمُ يجُودُ بنفْسه، فجعلتْ عيْنا رسُول الله صلى الله عليه وسلم تذْرفان، فقال لهُ عبْدُ الرّحْمن بْنُ عوْفٍ رضي الله عنْهُ: وأنْت يا رسُول الله؟ فقال: يا ابْن عوْفٍ، إنّها رحْمةٌ". ثُمّ أتْبعها بأُخْرى، فقال صلى الله عليه وسلم: إنّ العيْن تدْمعُ، والْقلْب يحْزنُ، ولا نقُولُ إلّا ما يرْضى ربُّنا، وإنّا بفراقك يا إبْراهيمُ لمحْزُونُون. أخرجه البخاري (١٣٠٣)

عن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه قال: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي فانطلقت معه إلى إبراهيم ابنه وهو يجود بنفسه، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم في حجره حتى خرجت نفسه قال: فوضعه وبكى قال: فقلت: تبكي يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء قال: " إني لم أنه عن البكاء ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب، وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ولولا أنه وعد صادق وقول حق وأن يلحق أولانا بأخرانا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٨٨٩)، وانظر: "صحيح الجامع" (٥١٩٤).

الرحمة بالأطفال لا تمنع من تأديبهم:

عنْ حُذيْفة قال: كُنّا إذا حضرْنا مع النّبيِّ صلى الله عليه وسلم طعامًا، لمْ نضعْ أيْدينا حتّى يبْدأ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فيضعُ يدهُ، وإنّا حضرْنا معهُ مرّةً طعامًا فجاءتْ جاريةٌ كأنّها تُدْفعُ، فذهبتْ لتضع يدها في الطّعام فأخذ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بيدها، ثُمّ جاء أعْرابيٌّ كأنّما يُدْفعُ فأخذ بيده، فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الشّيْطان يسْتحلُّ الطّعام أنْ لا يُذْكر اسْمُ الله عليْه، وإنّهُ جاء بهذه الجارية ليسْتحلّ بها فأخذْتُ بيدها، فجاء بهذا الأعْرابيّ ليسْتحلّ به فأخذْتُ بيده، والّذي نفْسي بيده، إنّ يدهُ في يدي مع يدها أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٠١٧).

عنْ عُمر بْن أبي سلمة قال: كُنْتُ في حجْر رسُول الله صلى الله عليه وسلم وكانتْ يدي تطيشُ في الصّحْفة، فقال لي: يا غُلامُ، سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممّا يليك أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٣٧٦)، ومسلم في "صحيحه" (٢٠٢٢).

محبة فياضة وحنان غامر مع أدب وورع:

مع ما سبق ذكره من شدة محبة النبي صلى الله عليه وسلم للحسن إلا أن ذلك لم يجعله يبيح له الحرام، عنْ أبي هُريْرة رضي الله عنْهُ: أخذ الحسنُ بْنُ عليٍّ رضي الله عنْهُما تمْرةً منْ تمْر الصّدقة، فجعلها في فيه، فقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: كخْ كخْ. ليطْرحها، ثُمّ قال: أما شعرْت أنّا لا نأْكُلُ الصّدقة أخرجه البخاري في "صحيحه" (١٤٩١)، ومسلم في "صحيحه" (١٠٦٩).

والحمد لله رب العالمين.

خُلق الصبر

إعداد م/محمد ياسين بدر حسين النجار

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) آل عمران ١٠٢.

أما بعد: فما يزال حديثنا عن أخلاق ديننا.. وحديثنا عن خُلق (الصبر).

والصبر هو حبس النفس عن كل ما يسخط الله في القلب واللسان والجوارح قال سعيد بن جبير: (الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه فيه واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر).

وإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له... والصبر واجب بإجماع العلماء.. قال تعالى: (وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) هود: الآية ١١٥.

والصبر له فضائل منها:

١- محبة الله.. قال تعالى: (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ) آل عمران: الآية ١٤٦.

٢- تحقق معية الله للصابرين قال تعالى: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ) الأنفال: الآية ٤٦.

٣- خير عطاء من الله للمؤمن كما ورد في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر).

٤- للصابر ثلاث بشائر بشر الله بها فقال تعالى: (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ) البقرة: الآية ١٥٧.

٥- الثواب العظيم في الآخرة قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ) الزمر: الآية ١٠.

قال سفيان الثوري: (إنما الأجر على قدر الصبر).

٦- الجنة لمن صبر على البلاء في الدنيا قال عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت: بلى. قال: (هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي.. قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك.. فقالت أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها). متفق عليه.

وقال سفيان بن عيينة: (لم يُعطَ العباد أفضل من الصبر؛ به دخلوا الجنة).

والصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر أداء الطاعة (الصبر على المأمور): بحيث يحتسب الأجر في فعلها ويصبر على مشقتها ويؤديها على الوجه المشروع ويداوم على فعلها قال تعالى: (يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ

بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان- الآية ١٧.

الثاني: الصبر عن ارتكاب معصية الله (الصبر عن المحذور) بحيث يجاهد هواه والشيطان ويصبر على مشقة ترك المألوف واجتناب الفساد وأهله قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد- الآية ٢٢.

الثالث: الصبر على الأقدار المؤلمة (الصبر على المقدور) بحيث يصبر على مشقتها والآثار المترتبة عليها ويتجنب جميع الأقوال والأفعال التي تسخط الرب قال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) البقرة- الآية ١٥٧.

والناس في مقام الصبر أربعة أصناف:

الصنف الأول: من يصبر على طاعة الله ويصبر عن معصية الله، وهذا أعلى الأصناف وهو حال الأنبياء والصديقين والأولياء.

الصنف الثاني: من يصبر على طاعة الله فيواظب على الفرائض ولا يصبر عن معصية الله: فيرتكب الفواحش فهذا ظالم لنفسه، ولا يدخل في الفضل العظيم للصبر.

الصنف الثالث: من يصبر عن المعصية فلا يغشى الفواحش لسمو نفسه عن الرذائل، ولا يصبر على الطاعة فيفرط في الفرائض فهذا مسيء وهو على شفا هلكة وسوء خاتمة.

الصنف الرابع: من لا يصبر على طاعة الله فيترك الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيغشى الفواحش فهذا شر الأصناف وقد باع دينه بعرض من الدنيا وتعرض لسخط الله وعذابه وهذا حال أهل الفجور.

وثمة أسباب تعين على الصبر وتقويه:

أولاً: التفكر في عظم فضل الصبر وكثرة ثوابه في الآخرة قال تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف- الآية ٩٠.

ثانيًا: التفكر في شدة العذاب يوم القيامة لمن فرط في الصبر وأتبع نفسه الشهوات.. قال زيادة مولى ابن عياس: (فوالله لنفسي نفس أضن بها عن النار، وللصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال في نار جهنم)(روضة المحبين:٣٩٩).

ثالثًا: تقوية الحياء من الله.. قال ابن القيم: (ذكر للصبر عن المعصية سببان وفائدتان: أما السببان فالخوف من لحوق الوعيد المرتب عليها والثاني الحياء من الرب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمه، وأن يبارز بالعظائم وأما الفائدتان: فالإبقاء على الإيمان والحذر من الحرام).

رابعًا: الاستعانة بالله على الصبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يتصبر يصبره الله) متفق عليه.

خامسًا: دعاء الله وسؤاله تيسير الصبر عند نزول البلاء قال تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ). الأعراف-الآية ١٢٦.

سادسًا: محبة الله وخشيته فإن محبة الله تحمل المؤمن على الصبر على الطاعة.. فالمحب الصادق يوافق هوى محبوبه ولا يخالف مراده.

سابعًا: التأمل في صبر الأنبياء والصالحين وأخذ العبرة واستنهاض الهمة قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف - ١١١.

فيتأمل في صبر النبي أيوب على البلاء، وصبر النبي يوسف عن المعصية، وصبر خاتم النبيين محمد على القيام بالدعوة إلى الله وتحمله المشاق والأذى في سبيل الله.

فاللهم اجعلنا من الصابرين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحلقة 2

تبصرة الأنام بحقوق الطريق في الإسلام

إعداد

د. عبد القادر فاروق
موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوى بالمعادي سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وبعد فنحن في زمان قد تفنن الناس فيه بالاعتداء على حق الطريق بصور مختلفة، فهذا يستولي على نصف الشارع، وهذا يدق حديدًا أمام بيته ويُضيِّق الطريق على المارَّة، والطريق ليس ملكًا لأحد، إنما هو ملك للجميع؛ ولذلك لا يجوز لأحد أنْ يعتدي على الطريق، أو يُسيء لمن مَر بالطريق.

والكلام في خمس نقاط:

١ - مكانة الطريق وأهميته:

قال الموصلي: "وَلَوْ ضَاقَ المَسْجِدُ وَبِجَنْبِه طَرِيقُ العَامَّةِ يُوسَّعُ مِنْهُ المَسْجِدُ)؛ لأَنَّ كليْهِمَا لِلْمُسْلِمِينَ، نَصَّ عَلَيْهِ مُحَمَّد بنُ الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة. (وَلَوْ ضَاقَ الطَّرِيقُ وُسِّعَ مِنَ المَسْجِدِ) عَمَلاً بِالأَصْلَحِ" الاختيار لتعليل المختار ٣/٤٥.

(وَلَوْ ضَاقَ المَسْجِدُ) عَلَى المُصَلِّينَ (وَبِجَنْبِهِ طَرِيقُ العَامَّةِ يُوَسَّعُ) المَسْجِدُ (مِنْهُ) أَيْ مِنْ الطَّرِيقِ إِذَا لَمْ يَضُرَّ بِأَصْحَابِ الطَّرِيقِ، وَكَذَا لَوْ ضَاقَ وَبِجَنْبِهِ أَرْضٌ لِرَجُلٍ يُؤْخَذُ أَرْضُهُ بِالْقِيمَةِ وَلَوْ كُرْهًا (وَبِالْعَكْسِ) يَعْنِي لَوْ ضَاقَ الطَّرِيقُ وَبِجَنْبِهِ مَسْجِدٌ وَاسِعٌ مُسْتَغْنًى عَنْهُ يُوَسَّعُ الطَّرِيقُ مِنْهُ لأَنَّ كِلَيْهِمَا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْعَمَلُ بِالأَصْلَحِ. (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ١/٧٤٨).

٢ - الدليل من السُّنَّة النبوية على أنْ للطريق حقا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلَّم- قال: «إيَّاكُمْ والجُلوسَ على الطُّرُقاتِ»، فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنَّما هيَ مجالِسُنا نتحدَّثُ فيها. قال: «فإذا أبَيْتُمْ إلَّا المَجالِسَ، فأعْطوا الطَّريقَ حقَّها»، قالوا: وما حقُّ الطَّريقِ؟ قال: «غَضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلامِ، وأمْرٌ بالمعروفِ، ونهيٌ عن المُنكرِ» رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري.

معاني الكلمات: (إياكم) أحذركم. (بد) غنى عنه. (المجالس) الجلوس في تلك المجالس. (حقها) ما يليق بها من آداب. (غض البصر) خفض النظر عمن يمر في الطريق من النساء وغيرهن مما يثير الفتنة. (كف الأذى) عدم التعرض لأحد بقول أو فعل يتأذى به.

قال الشوكاني: "والعلَّة في التَّحذير من الجُلوس على الطُّرق ما فيه من التَّعرُّض للفِتْنة بالنَّظر إلى مَنْ يَحْرُمُ النَّظرُ إليه، ولحقوق الله والمُسلمين الَّتي لا تلزمُ غيرَ الجالس في ذلك المَحلّ" نيل الأوطار ٣٧٥/٥.

٣- فضل إماطة الأذى عن الطريق:

أ- عنْ أبي هُريْرة- رضي الله عنه- قال: قال رسُول الله صلَّى الله عليْه وسلَّم: «الإيمانُ بضعٌ وسبعُون- أو بضعٌ وستُّون- شُعبةً، فأفضلُها قوْلُ لا إله إلَّا الله، وأدْناها إماطةُ الأذى عن الطَّريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم.

(إماطة الأذى) أي تنحيته وابعاده والمراد بالأذى كل ما يؤذى من حجر أو شوك أو غيره.

ب- عنْ أبي هُريْرة- رضي الله عنه- أنَّ رسُول الله صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: «بيْنما رجُلٌ يمْشي بطريقٍ وجد غُصْنَ شوْكٍ على الطَّريق فأخَّره، فشكر الله له فغفر له» رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري. وفي رواية لمسلم: «مرَّ رجُلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظهْر طريقٍ، فقال: والله لأُنحِّينَّ هذا عن المُسلمين لا يُؤذيهم فأُدخل الجنَّة».

ج- وعنْ أبي هُريْرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلَّى الله عليْه وسلَّم، قال: «لقدْ رأيْتُ رجُلًا يتقلَّبُ في الجنَّة، في شجرةٍ قطعها منْ ظهْر الطَّريق، كانتْ تُؤذي النَّاس» رواه مسلم.

(يتقلب في الجنة) أي يتنعم في الجنة بملاذها بسبب قطعه الشجرة عن الطريق.

٤- آداب الطريق:

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/١١:... ومجمُوعُ ما في هذه الأحاديث أربعة عشر أدبًا وقدْ نظمْتُها في ثلاثة أبيات وهي:

جمعتُ آدابَ منْ رامَ الجُلوسَ على الطَّريق
منْ قوْلِ خيْرِ الخلْقِ إنْسانا
أفْشِ السَّلامَ وأحْسِنْ في الكلامِ
وشمِّتْ عاطسًا وسلامًا رُدَّ إحْسانا
في الحمْلِ عاوِنْ ومظْلومًا أعِنْ وأغِثْ
لهْفانَ واهْدِ سبيلًا واهْدِ حيْرانا
بالعُرْفِ مُرْ وانْهَ عنْ نُكْرٍ وكُفَّ أذى
وغُضَّ طرْفًا وأكْثِرْ ذكْرَ موْلانا

٥- منكرات ومخالفات الطريق:

أ- توسيع المحلات من الشارع، وكذلك المقاهي، وتضييق الطريق العام والاستيلاء على أراضي الغير، وأراضي الدولة.

روى الإمام البخاري في صحيحه، عنْ سالم، عنْ أبيه (عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما)، قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليْه وسلَّم: «منْ أخذ من الأرْض شيْئًا بغيْر حقِّه خُسف به يوْم القيامة إلى سبْع أرضين»

خُسف به: غارت به الأرض وجعل ذلك في عنقه كالطوق.

وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري: أنَّ أبا سلمةَ رضي الله عنه كانت بينَهُ وبيْنَ أناسٍ خصومةٌ فذكر لعائشةَ رضي الله عنها، فقالت: يا أبا سلمةَ اجتنب الأرضَ، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «منْ ظلم قيد شبْرٍ من الأرض طوّقه من سبْعِ أرضين».

(خصومة) نزاع حول شيء. (اجتنب الأرض) احذر أن تأخذ منها شيئا بغير حق أو لا تتعاطاها خوفا من أن تقع في ذلك. (قيد) قدْر.

وفي الصحيحين عنْ سعيد بْن زيْد- رضي الله عنْهُ- أنَّ رسُول الله صلى الله عليْه وسلّم قال: «من اقْتطع شبْرًا من الأرْض ظُلْمًا، طوّقهُ الله إيّاهُ يوْم القيامة منْ سبْع أرضين» واللفظ لمسلم.

وفي رواية لمسلم أيضا، عنْ هشام بْن عُرْوة، عنْ أبيه، أنّ أرْوى بنْت أُويْس، ادّعتْ على سعيد بْن زيْد أنّهُ أخذ شيْئًا منْ أرْضها، فخاصمتْهُ إلى مرْوان بْن الحكم، فقال سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ منْ أرْضها شيْئًا بعْد الّذي سمعْتُ منْ رسُول الله صلّى الله عليْه وسلّم، قال: وما سمعْت منْ رسُول الله صلّى الله عليْه وسلّم؟ قال: سمعْتُ رسُول الله صلّى الله عليْه وسلّم، يقُولُ: «منْ أخذ شبْرًا من الأرْض ظُلْمًا، طُوّقهُ إلى سبْع أرضين»، فقال لهُ مرْوانُ: لا أسْألُك بيّنةً بعْد هذا، فقال: «اللّهُمّ، إنْ كانتْ كاذبةً فعمّ بصرها، واقْتُلْها في أرْضها»، قال: «فما ماتتْ حتّى ذهب بصرُها، ثُمّ بيْنا هي تمْشي في أرْضها، إذْ وقعتْ في حُفْرة فماتتْ».

(من اقتطع) أي أخذ والمراد الأخذ بغير حق. (شبرا) أي قدره من الأرض. (طوقه) أي جعله طوقا في عنقه. قال الصنعاني: "اخْتلف في معْنى التّطْويق فقيل معْناهُ يُعاقبُ بالْخسْف إلى سبْع أرْضين فتكُونُ كلُّ أرْض في تلْك الْحالة طوْقًا في عُنُقه... وقيل يُكلّفُ نقْل ما ظلمهُ منْها يوْم الْقيامة إلى الْمحْشر ويكُونُ كالطّوْق في عُنُقه لا أنّهُ طوْقٌ حقيقةٌ "(سبل السلام ١٠٠/٢)

إذا كانت هذه العقوبة لمن أخذ شبرا، فكيف بمن استولى على ملايين الأمتار من الممتلكات العامة والخاصة.

ب- عرْض الملابس الخاصة بالنساء في المحلات بهذه الصورة التي تنافي الحياء.

ج- عرْض الصور أمام استديو التصوير، ومحلات الكوافير، وهذه الصور تخدش الحياء، وتؤذي الذوق العام، وتجرح مشاعر الناس، وتثير الشهوات الكامنة، وتتنافى مع غض البصر، وتفتن الناس، والتصوير في الأفراح يُحذر منه حتى لا تقع الصور مع غير المحارم وهناك من يضع وجه شريفة على جسد فاجرة باستخدام برامج تركيب الصور، ويضع هذا على الانترنت والأصل في التصوير أنه لا يجوز إلا لضرورة مثل عمل بطاقة شخصية أو جواز سفر أو... أو تصوير المجرمين حتى لا يُتهم بريء، وقد توسع الناس في التصوير أكثر من الضروري.

د- ذبح الأضحية في الشارع (والدم المسفوح الذي ينزل وقت الذبح نجس، وهذا الدم قد يكون سببًا في تلويث الشوارع وانتشار الأمراض). قال الله تعالى (قُل لا أجدُ في ما أُوحي إليَّ مُحرمًا على طاعم يطْعمُهُ إلا أن يكون ميْتةً أو دمًا مسْفوحًا أو لحم خنْزير فإنّهُ رجْسٌ أو فسْقًا أُهلّ لغيْر الله به فمن اضطُرّ غيْر باغ ولا عاد فإنّ ربّك غفُورٌ رحيمٌ) سورة الأنعام الآية (١٤٥).

قال الإمام الغزالي وهو يتكلم عن منكرات الشوارع: "... فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الأسطوانات وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة ... ووضع الخشب

وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك مُنكرٌ إن كان يؤدي إلى تضييق الطُرق واستضرار المارة. وكذلك ربط الدوابِّ على الطريق بحيث يضيق الطريق ويُنجس المجتازين مُنكرٌ يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة... كذلك تحميل الدوابِّ من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع المُلاك منه، وكذلك ذبح القصاب (الجزار) إذا كان يذبح في الطريق، ويلوث الطريق بالدم؛ فإنه منكر يُمنع منه. فإن في ذلك تضييقًا بالطريق وإضرارًا بالناس بسبب ترشيش النجاسة، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات. وكذلك طرح القمامة.. وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق (إحياء علوم الدين ٢-٣٣٩).

ع- حفر الشركات في الطريق لعمل المرافق، وإهمال الحفر لمدة طويلة مما يتسبب في معاناة الناس.

غ- إلقاء مخلفات تشطيب المباني في الشارع، وعلى الطرق السريعة، مما يتسبب في حوادث الطرق. وبعض سيارات نقل المخلفات تلقي بالقمامة في أي مكان غير الأماكن المخصصة لذلك، وبعض الناس يفعل ذلك للتخلص من القمامة.

ف- قطع الطريق بالاعتداء على الأموال وأخذها بالإكراه وهتك الأعراض من جرائم الفساد في الأرض ويُوجب حد الحرابة.

ق- الوقوف المخالف للسيارات في الطريق وكذلك وضع السيارة أمام البيت، وتضييق الطريق على المارة، مع العلم بأن حق السكنى شيء، ووضع السيارة أمام البيت شيءٌ آخر، ومن جشع المُلاك أنهم يبنون عمارة سكنية كبيرة، ويقومون بتأجير الجراج، ولا يجد مالك الشقة مكانا يضع فيه سيارته.

ك- عدم البساطة في مواكب المسئولين، وتعطيل حركة الشارع ومصالح الناس، أين نحن من عمر-رضي الله عنه – أمير المؤمنين الخليفة الراشد والإمام العادل، الذي كان يحرسه عدله ويحفظه ربُه. الذي قال: لو أن بغلةً عثرت في الطريق لسُئل عمر رضى الله عنه- لماذا لم يُمهد لها الطريق؟!

وإذا ذُكر العدل ذُكر العُمران: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى-.

ل- حوادث الطرق واهمال المصابين بحجة أنَ الإنسان لا يريد أنْ يُعطل نفسه مع أنَ الضرر الخاص يُتحمل لدفع الضرر العام. والناس تُحجم عن إنقاذ المصابين لتعقيد الروتين والخوف من تهمة أنه هو الذي صدم المصاب أو القتيل.

م- عدم دفْن الحيوانات الميتة، وهذا يسبب الروائح الكريهة والأمراض الخطيرة، وبعض الناس يلقيها في نهر النيل ويلوث المياه.

ي- قَطْع الطريق بالاعتصام في الميادين وأمام القطارات والخطوط السريعة وتعطيل مصالح الناس، وكذلك قطع الطريق بازدحام الناس أمام المباريات في الشوارع؛ مما يُعطل مصالح الناس وسيارات الاسعاف والمطافئ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

من بلاغة القرآن الكريم

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد د. عبد الرحمن فودة
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

فيلفت نظر الباحث في كلام المفسرين للقرآن الكريم حين يأتون على وصف العذاب بالألم أو الشدة أو العظمة أو غيرها من أوصاف العذاب أنهم يفسرون هذه الأوصاف ببعضها، وكأنها تتبادل المواقع فيما بينها بصرف النظر عن أحقية سياق ما بوصف بعينه. وهذا يدعو لشيء من الغرابة والدهشة. لا سيما عند المفسرين أصحاب الاتجاه اللغوي من أمثال ابن عطية والزمخشري والقرطبي والرازي، بل والمتأخرين كأبي السعود والألوسي وغيرهم، إذ لم يقفوا طويلاً عند معاني هذه الأوصاف (الألم- الشدة- العظم- المهانة- الكبر- البؤس- الغلظ....) إلخ.

ولم يفرقوا بينها دلاليًا ولغويًا، فقد كانت تفسيراتهم لجمل مثل «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

على نحو: أليم أي موجع. عظيم أي شديد. بئيس: شديد. وإلى هذا ذهب الرازي والشوكاني والقاسمي وغيرهم.

إذن.. ما الفارق بين الكلمتين، وقد وردت كل منهما مستقلة في سياق خاص، وهما من جذرين مختلفين؟ بل إن هذه الأوصاف تشتمل على دلالات بعضها حسي وبعضها معنوي، وبعضها ينص على أنه في الدنيا، وبعض آخر- وهو أكثره- في الآخرة، ومما لاشك فيه أن هناك بونًا شاسعًا بين العذابين، عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

هناك من علماء الأمة الأوائل من كانت لهم عناية باللفظية المفردة، كالأصفهاني في المفردات وابن قتيبة في غريب القرآن، وتأويل مشكل القرآن، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر، والزركشي في البرهان في علوم القرآن، والسيوطي في معترك الأقران، وغيرهم، ولكنهم لم يشفوا الغلة في موضوع البحث، بل لم يقفوا عند الفروق الدقيقة بين هذه الأوصاف. وممن عنوا باللفظة المفردة من العلماء السابقين في التراث نجد علمًا كالخطابي يتناول الفروق الدقيقة بين الكلمات التي ظاهرها الترادف، فيقول: «إن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعنى، يحسبها أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر».

وفي موطن آخر يعلق على قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ» (المؤمنون: ٤).

«وقولهم: إن المستعمل في الزكاة المعروض لها من الألفاظ: الأداء والإيتاء والإعطاء ونحوها كقولك: أدى فلان زكاة ماله، وآتاها، وأزكى ماله، ولا يقال: فعل فلان الزكاة ولا يعرف ذلك في كلام أحد فالجواب أن هذه العبارات لا تستوي في مراد هذه الآية وإنما تفيد حصول الاسم فقط، ولا تزيد على أكثر من الإخبار عن أدائها فحسب، ومعنى الكلام ومؤداه المبالغة في ادائها، والمواظبة عليه حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم، فيصير أداة الزكاة فعلاً مضافا إليهم يعرفون به فهم له فاعلون». ولعل اللام في (للزكاة) تتضمن معنى التعليل، والمراد أن أفعالهم كلها من أجل التزكية.

ونجد الجاحظ يقول:

«وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها،

وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة أكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث». اهـ.

ولعلنا نلاحظ في القرآن أيضا استعمال كلمة (رب) مكان غيرها من أسماء الله سبحانه حيث اطرد ذكرها في حال الدعاء، وذلك حيث يكون المرء في ضعف، فالحالة تقتضي احتياجه إلى الربوبية.

والقرآن نفسه فيه دعوة لعدم استخدام لفظة مكان أخرى مراعاة للمواقف- أو السياقات- بكل أطرافها، فمن ذلك قوله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (الحجرات: ١٤).

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم» (البقرة: ١٠٤).

ومن المفسرين ابن عطية الذي يقول: (كتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد).

أما الدراسات الحديثة العربية والغربية فقد التفتت أيضا إلى نفي الترادف بالكلية (اي الترادف التام) بين الكلمات المتناظرة أو القريبة المعاني من بعضها.

تقول الدكتورة بنت الشاطئ: (قد شهد التتبع الدقيق لمعجم ألفاظ القرآن واستقراء دلالتها في سياقها بأن القرآن يستعمل اللفظة بدلالة محدودة ولا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام لفظ آخر).

ويقول الدكتور حنفي شرف: «كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفا، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا».

ويقول الزيات في اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق، لأن الكلمة ميتة ما دامت في المعجم، فإذا وصلها الفنان بأخواتها في التركيب وضعها موضعها الطبيعي من الجملة وبث فيها الحياة وسرت فيها الحرارة».

فهذا يشير إلى أن الكلمات المتقاربة المعاني- مع فروق دقيقة بينها- لا تتضح بعيدة عن السياق، وإنما هي دالة على مرادها العام والخاص إذا وضعت في سياق بعينه دون غيره. إذن لا تقف المفردة في حياة المعجم، فإن غزت موضعها واستوعبته تملكته فكانت آية في الجمال، وإن خسرت معركتها اقتربت من الفوضى والهذيان، وصارت إلى زوال وابتذال.

ونورد فيما يلي التوقف عند كل نوع من هذه الأنواع لتبين ملاءمتها للسياق الذي وردت فيه، ونبدأ أولا بتعريف الموصوف وهو (العذاب).

العذاب: لغة: هو الإيجاع الشديد، وقد عذبه تعذيبًا: أكثر حبسه في العذاب، واختُلف في أصله، فقال بعضهم: هو من قولهم: عَذَب الرجل: إذا ترك المأكل والنوم، فهو عاذب وعذوب، فالتعذيب في الأصل: هو حمل الإنسان أن يَعْذب، أي: يجوع ويسهر، وقيل: أصله من العذب (القذى)، فعذبته أي: أزلت عذب حياته، على بناء: مرّضته وقذّيته (أي: أزلت مرضه وقذاه). وقيل: أصل التعذيب: إكثار الضرب بعذبة السوط، أي: طرفها، وقد قال بعض أهل اللغة: التعذيب هو الضرب.

وقيل: هو من قولهم: ماء عذب: إذا كان فيه قذى وكدر، فيكون عذبته كقولك: كدرت عيشه، ورنّقت حياته. وعذبة السوط واللسان والشجر: أطرافها.

وقيل: هو اسم لما استمر ألمه، ويقال: ماء عذب: إذا استمر سائغا في الحلق، وأصل العذاب في كلام العرب: الضرب.

فهو اسم لما يؤلم ويذهب بعذبة الحياة من ضرب ووجع وجوع ظمأ.

وهو في القرآن الكريم على وجوه، منها:

- الحد في الزنا، ومنه: «فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» (النساء: ٢٥)، «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» (النور: ٢)، «ويدرأ عنها العذاب» (النور: ٨).
- الغرق، ومنه: «إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم» (نوح: ١).
- القذف والخسف والعقوبة في الدنيا، ومنه: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم» (الأنعام: ٦٥).
- الجوع، ومنه: «حتى إذا أخذنا مترفيهم

بالعذاب» (المؤمنون: ٦٤)، «ربنا اكشف عنا العذاب» (الدخان: ١٢).

- القتل: ومنه «لعذبهم في الدنيا» (الحشر: ٣)، «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى» (السجدة: ٢١).
- الضرب المؤلم: ومنه: «وليمسنكم منا عذاب أليم» (يس: ١٨).
- نتف الريش: ومنه: «لأعذبنه عذابا شديدا» (النمل: ٢١)، أي: لأنتفن ريشه.
- تعب الخدمة: ومنه: «ما لبثوا في العذاب المهين» (سبأ: ١٤).
- عذاب القبر: ومنه «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى» (السجدة: ٢١)، يعني عذاب القبر، ومنه: «اليوم تجزون عذاب الهون» (الأنعام: ٩٣)، يعني: عذاب القبر.
- العقوبة في الآخرة، ومنه: «إن عذابها كان غراما» (الفرقان: ٦٥) أي: عقوبتها كانت هلاكًا وخسرانًا، ومنه: «ولعذاب الآخرة أشق» (الرعد: ٣٤).

أ- الأوصاف التي تكررت في سياقات مختلفة:

الوصف الأول: (أليم):

وردت هذه اللفظة خمسًا وستين مرة، منها ثمان وخمسون فاصلة وسبع قبل الفاصلة، ومنها سبع وخمسون مرة في عذاب الآخرة، وأربع مرات في الدنيا والآخرة، وأربع في الدنيا، ومعنى (أليم) كما قال الراغب: أن يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، والألم هو الوجع الشديد.

يقال: ألم يألم ألمًا فهو ألم. وعذاب أليم: مؤلم. وهناك فرق بين الألم والوجع. فالألم ما يلحقه بك غيرك، والوجع يكون منك ومن غيرك.

وأصل الألم: الوجع. وأليم فعيل بمعنى مُفعل، وكذلك وجيع بمعنى موجع. قال: (أمن ريحانة الداعي السميع)، فوضع السميع موضع مُسمع.

قال ابن الأعرابي: عذاب أليم أي مؤلم، ورجل أليم ومؤلم أي موجَع. قال أبو عبيد: يقال: ألِمتَ نفسك، كما تقول: سَفِهتَ نفسك، والعرب تقول: الحُرُ يعطي والعبدُ يألم قلبه».

وقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «كل شيء في القرآن ألم فهو الموجع».

وبناء فعيل في الصفة المشبهة يدل على الثبوت فيما هو خلقة أو بمنزلتها، كطويل وقصير وفقيه وخطيب.

وهو في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه كعليم أي أنه لكثرة نظره في العلم وتبحره فيه أصبح العلم سجية ثابتة فيه.

ولعل هذه الدلالة تنطبق على وصف (الأليم) لما يعانيه المعذب من آلام التعذيب- الحسي- والنفسي- فتنبعث أصوات تألمه، وتلازمه وتصير ثابتة له كالصفات الخلقية.

وبالنظر في سياق الآيات التي وردت فيها هذا الوصف وجدت ما يلي:

أ- أن هؤلاء المعذبين بحثوا عن اللذة «ويشترون به ثمنا قليلا» (البقرة: ١٧٤)، «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا» (آل عمران: ٧٧)، «فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به» (آل عمران: ٩١)، «إن الذين اشتروا الكفر بالايمان» (آل عمران: ١٧٧)، «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا» (آل عمران: ١٨٨)، «ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم» (المائدة: ٩٤)، «أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا» (الأنعام: ٧٠)، «والذين كفروا لهم شراب من حميم» (يونس: ٤)، وغيرها، فجاءت النتيجة خلاف مقصودهم، حيث قاسوا أشد ألوان العذاب إيلامًا وهو العذاب الأليم لأبدانهم ونفوسهم.

ب- أن الوصف يسبق بمثل هذه الكلمات: (نذيق- بشر- تنجيكم- يجركم- يخافون)، وتحمل بعضها معاني البشارة والنجاة والذوق، فتشرئب نفوس هؤلاء وتميل إلى هذه البشارة ولكنها سرعان ما تصدم حين تكون البشرى عذابًا أليمًا!!

وللحديث بقية إن شاء الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
وقفات شرعية
الحقد النصيري على أهل السنة

مجلة

التوحيد

هدايا قيمة

لأول ١٠٠

من المشترين

١٠٠٠

جنيه مصري سعر الكرتونة

بدلاً من

~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة

سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا

بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

ت/ ٠٢٢٣٩٣٦٥١٧